حكاية شعب

١

حكاية شعب

محمد غالية - غادة أشرف
الطبعة الأولى : ٢٠١٤

دار الحلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف - من شارع مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة
موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢
dar_el7elm@hotmail.com
المدير العام : د.إسلام فتحى

تصميم الغلاف : إيمان صلاح
مراجعة لغوية : محمد عبد الغفار
إخراج داخلي : الحلم للدعاية والإعلان

رقم الإيداع :
رقم الترقيم الدولي :

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

محمد غالية غادة أشرف

حكاية شعب

إهداء

إلى روح شهداء الثورة الطاهرة..
إلى كل من ينبض قلبه بحب هذا الوطن..

محمد غالية

إهداء

إلى كل شهداء ثورتنا الطاهرة..
إلى من يريد معرفة الحقيقة..
إليك أبي وإليكِ أمي وأخي الحبيب..
وأخيرًا ودائمًا..
إليك أنت يا حبيبي..

غادة أشرف

مقدمة

قبل الثورة بستة أشهر قررت أن أكتب عن فساد أطاح بمصر، أضاع الحقوق وحطّم المستقبل وقتل الأحلام وتوغل في كل عروق الدولة فأصبح يشارك الدم في الشرايين، وكان كالماء الذي يروي مَن استساغه ماء حلالاً، في الوقت الذي زُوِّرَت فيه الانتخابات على مسمع ومرأى من الجميع، زورت إرادتي وإرادة الجميع، في الوقت الذي مات فيه أبناء الوطن ضحية تحت أرجل رجال الشرطة وأصبحت النساء عرايا في سبيل إرضاء ذوق الكلاب.
والآن.. وبعد الثورة، لم يتغير الحال كثيرًا، ولكني متفائلة لأن الشعب أفاق من غفلته ولن يغفل مرة ثانية..

غادة أشرف

مقدمة

لا يستطيع أحد، مهما بلغت قدرته البلاغية، أن يسجل الثورة من خلال سطور؛ فالثورة ما زالت مستمرة حتى تستقر الأوضاع كلها، ولأنني على يقين من صعوبة اختزال الثورة في مجرد كتاب أو تأريخها الآن؛ لأنها تحتاج إلى سنوات حتى يتضح الكثير من معالمها، ولكن هذا الكتاب يوضح انعكاسات لفترات الثورة وما تلاها من أحداث، تجعل من لم يعِش هذه الفترة يسعد بقراءة الثورة على وجوه الناس ومدى انعكاسها عليهم، فهذا الكتاب لا يحكي أحداثًا ولا يسرد تاريخًا، لكنه يتابع صدى الحدث في وقته وفي حينه؛ لأن كل مقالاته كُتب كل مقال منها وقت حدوث الحدث، حتى تكون الصورة كاملة وواضحة للقارئ.

فالكتاب كُتب بعين واحد من الشعب وليس فقط عملاً أدبيًا، لكنه بمثابة عمل اجتماعي سياسي.. آملين أن تشعر الأجيال القادمة أننا قدمنا ولو شيئًا بسيطًا لها.

محمد غالية

مصر قبل ثورة ٢٥ يناير

١- «سخرية القدر»

إنها السخرية القدرية التي تلتف حولنا في كل سبل الحياة ومرجعياتها. من منا لا يبتسم ساخرًا في مصائبه واختياراته واحتياجاته الشخصية؟ إنها ابتسامة السخرية الكبرى، سخرية من القدر مع القليل من التوهم بالظلم والاستبداد.

من منا لا يدّعي سلب حقوقه في المواقف المختلفة على الرغم من أن اختياراته هي التي وجهته إلى سبيل التنازل دون المطالبة بالحق؟ من منا لا تستدير به الدنيا ويلقي بهمومه ومصائبه وأخطائه وفساده على عاتق القدر؟

إنها سخرية القدر العظمى التي يسخر فيها من إنسان لا يتوجه بقلبه وعقله إلا في طريق الشهوات التي بدورها تسقطه في الأخطاء والكبائر، والقدر كل ذنبه أنه اتهم بالتضليل والافتراء، فقرر الإضراب والسخرية من هذا العبد المتملق المريض..

لماذا يسخر منا القدر؟

عندما تتحدث إلى شيخ مسن وتسأله عن أحوال الوطن والتدهور العام الذي أصاب مجتمعنا العربي والشرقي في كل المجالات العلمية والدينية والأخلاقية.. يرد آسفًا حزينًا: إنها سخرية القدر وتدهور الرغبات والأهداف وتدني العباد تحت شهوة المال والجنس، والأنانية الفردية التي أدت إلى تعظيم الذات فوق الجميع، والبحث عما يسعد النفس الفردية وإن أدى ذلك إلى الضرر بالمجتمع، وقد يصل إلى أزمة عالمية كما حدث مؤخرًا من نتاج لغسل الأموال وغيره على السوق العالمية، التي أدت بدورها إلى الأزمة الاقتصادية التي أفلست الكثير من المؤسسات الدولية والرأسمالية..

فسخرية القدر لا تنحصر فقط عالميًا أو دوليًا، فهي وليدة لأنانية فردية اقتحمت المجتمع من خلال أسرة معينة، في وقت ازدحمت فيه الأسر وكثرت المجتمعات والأفكار وبدورها تعددت المكائد والحيل التي أطاحت بمصلحة

الجماعة وأصبحت أنانية المال والسلطة والعالم تبعث في أنفس الضعفاء البغض والضغينة فتثور المجتمعات غضبًا وسخطًا من أفعال بعضها البعض.. فالقدر يسخر من عاداتنا المزيفة وحريتنا المقيدة وأخلاقنا الفاسدة وتضليل العدالة والسكوت عن الحق والوقوف بجانب الظالم ضد المظلوم وتمجيد الخائن وتحقير الوفي العادل والضياع والتنازل عن أراضينا ودولنا وعاداتنا وأعراضنا، والموافقة على مرافقة المعتدي والمحتل الصهيوني، وقطع ألسنة المعارضين والمدافعين، والتمادي في إهلاك الأنفس والأفراد والقيم..

يسخر منا القدر متى توقفنا عن الاتحاد والتعاون، يسخر منا عند اللعب بالنفوس وتفرقة الأديان والمجتمعات المدنية، يسخر منا بالإرهاب والقتل باسم الدين، يسخر منا في تحليل الباطل والسرقة علنًا والتزوير والسلبية..

ينظر إلينا في هذه الأحوال بابتسامة ساخرة يتحسر فيها على إنسان خلق ليعمر الأرض وينشر فيها السلام ويبحث عن العلم ويتوصل إلى الخالق بالعقل الذي منحه إياه كي يميز ما بين الأشياء القبيح منها والجميل وبين المعادن البشرية النقية والملوثة..

وتبدل الحال وأصبح العلم سر الفساد والدين سببًا للقتل والعقل أساسًا للمكائد والتحطيم.. كل هذه هي أسباب للسخرية القدرية، والكثير مما نشهده كل يوم في هذا العالم الذي كثرت ظلمته على الرغم من كثرة المصابيح..

٢- الفساد

الحديث عن الفساد له أوجه كثيرة ومتعددة، وكل شيء خارج عن نطاق الأخلاق وقيم الأديان فهو فساد، وشهوة المال أصبحت أولى دعائم الفساد الأساسية، فالكل يبحث عنه ويصارع الآخرين بكل الطرق الشرعية وغير الشرعية كي يصل إلى ما يشبع به شهوته، التي في حقيقة الأمر لا تشبع أبدًا. فالسرقة والنهب والنصب والتحايل سُبل من الأساليب غير الشرعية لإشباع الشهوة، وهي من فروع الفساد الأخلاقي، وكذلك الفساد السياسي الذي لا

يشبع فيه ذوو السلطة والنفوذ من استغلال مناصبهم في سبيل مصالحهم الشخصية، التي لا تعني شيئًا بجانب المسئولية التي تقع على عواتقهم، والتي يضحون بها بمنتهى الأنانية في سبيل إشباع رغباتهم الفردية الأنانية، وكذلك تحليل ما حرم علينا بالتحايل على القانون وتغيير دعائم الدين بالفتاوى غير الشرعية، التي أطاحت بأصول الدين والفتوى في الكثير من دولنا العربية، وهذا نوع من أنواع الفساد يمس بالدين وأصوله، ولا تحديد لدين بعينه، ولا أخلاق بعينها، فكل الأديان والأخلاق تتفق على أن السرقة حرام، والاستغلال حرام، والنهب والنصب والتزوير والكذب والظلم حرام، فكل الأديان لا تختلف في الأهداف، ولكن الذي يختلف هو مُطبِّق الدين والقائم على تنفيذ ما ورد فيه والمحافظة عليه. والذي اختلف أيضًا; طموح الجماعة الذي وهن وضعف بسبب الأطماع الفردية التي زادت طموح الفاسدين فسادًا وظلمًا وزادت نفوس الضعفاء الشرفاء سخطًا وغضبًا وذلاً ومهانة في سبيل إشباع رغبة بسيطة؛ وهي أكل العيش، فالسكوت عن الحق هو سبيل من سبل الخوف التي ملأت قلوب الجميع الذين يخافون فقدان مصادر رزقهم عقابًا لقول الحق والاعتراض على الباطل، وهذا ما يزيد القوي بطشًا ويزيد الضعيف وهنًا، ويزداد عدونا الحقيقي «الفساد» تضخمًا وتشعبًا، حتى يشمل كل نواحي حياتنا. والآن وجب التنبيه والخلاص..

٣- الفساد السياسي

تبدأ الملامح السياسية لأي دولة من أكبر منصب في الدولة (رئيس الدولة) إلى أصغر منصب، فالسياسة هي الحديث عن كل ما يخص إدارة الدولة من الدستور والقانون، التي تتعلق بالمصالح الحكومية والوزارات المختلفة بكل التخصصات والاتجاهات، ومصالح المواطن، وواجب كل فرد وحقوقه.. فالسياسة ليست أحزابًا وانتخابات، بل إنها أعمق من ذلك بكثير.

ويسوء حال المواطن المصري في السياسة إذ إنه مصاب بداء الجهل السياسي

من أصغر مواطن إلى أكبر مواطن، فكلمة سياسة لا تعني له سوى اعتقالات وإهانات ومنطقة المشاكل والبركان التي يجب عليه عدم الاقتراب منها، وهذا الجهل أدى إلى ضياع معرفة هذا المواطن بحقوقه، فتعودت الدولة على عدم المطالبة بالحقوق، مما أدى إلى إهمال حقوق المواطن، بل سلبها كليًّا، فأصبح على المواطن واجبات دون حقوق، وأصبحت الثورة تشتعل في رأس كل مواطن مسكين، إذ إنه لا يعرف الحقوق التي وجب عليه المطالبة بها.. وصاحب ذلك الخوف من المطالبة كي لا يفقد حياته عقابًا للمطالبة، لأن الدولة التي تسلب المواطن حقه تكون بالتالي غير آدمية، والدولة غير الآدمية عندما تطالب فيها بحق آدمي تثور غضبًا وتعتبر هذا خروجًا وتعديًا على كرامة الدولة، وقلبًا لنظام الحكم، ولكنهم يجهلون أن كرامة الدولة لا تأتي إلا من خلال كرامة المواطن الذي سلبوه حقوقه، وبالتالي تكون الدولة بلا كرامة، وتكون عرضة لسخرية واستغلال كل دول العالم مع الكثير من الخداع، لأن هذا ما يهمهم على الصعيد السياسي، فالدول الكبرى كالولايات المتحدة لا يهمها إلا رعاية رعاياها هي فقط، واقتصادها هي فقط، وأخلاقها هي فقط، مع إهمال باقي الدول، إذ إنها لا تعني لها شيئًا، إلا أنها مصدر لمصالحها الشخصية والاقتصادية، لذلك على المواطن المصري أعباء كثيرة، وأهمها أن يعرف حقوقه كي يستطيع المطالبة بها دون خوف وبكل قوة يملكها. والحديث عن الفساد السياسي سيشمل نواحي كثيرة وأولها:

٤- الانتخابات

شهدنا مؤخرًا انتخابات مجلس الشعب، ورأينا ما حدث فيها من انتهاك للقوانين وتزوير علني وفضائح ملأت صفحات الإنترنت وصفحات الجرائد، والفيديوهات التي فضحت الكثير من عمليات التزوير، التي لم يكتفوا فيها بالتصويت لمن لم يحضر، بل إنهم مزقوا أوراق المنتخبين وأدخلوا الصناديق أوراقًا جديدة ملأوها هم بأنفسهم، وأصبح مجلس الشعب مؤلفًا من أعضاء

الحزب الحاكم فقط، وهو الحزب الوطني، الذي أذكر أن أعضاءه في أحد الاجتماعات الشبابية كانوا نائمين لا يستمعون إلى ما يجري، وأيضًا أذكر استضافة بعضهم في برنامج ما وسألهم المحاور عن معنى الليبرالية والمفاهيم ولم يستطيعوا الإجابة! هذا الجهل هو من يحكم مصر الآن، فهل نحن السبب في كل ذلك؟ والإجابة للأسف هي: «نعم» نحن السبب في كل ذلك.. فنحن من تنازلنا عن حقوقنا وتركناها لهؤلاء الديكتاتوريين الذين لا يسعون إلا إلى تحقيق مصالحهم الشخصية.. نسينا أنه لا يحقق العدالة إلا من شعر بآلام الشعب ومصائبه واحتياجاته.. وكيف يشعر رجال ينامون على ريش النعام بمن ينامون عراة في الطرقات؟ وكيف يشعر من يأكل اللحم بأنواعه بمن لا يعرفه؟

أسئلة إجاباتها: كل الشعب المسكين يستطيع أن يشعر بذلك عدا هؤلاء الذين يحكمونه، وقد حكموه من خلال ضعفنا وتنازلنا عن صوتنا، وعن الصرخة في وجه الحكام لا وألف لا لهذا وذاك، ولا وألف لا لسلب الحقوق والحرمان والجوع، ولا وألف لا للإجبار والتخويف وسلب الحريات والظلم، ولكن من يصرخ علنًا لا يكون جزاؤه إلا السجن والاعتقال، أو كما نسميه هنا «يروح ورا الشمس».

ولكن هل سنظل نرى الفساد في الانتخابات ونصمت؟ هل ستظل السلبية داخلنا إلى الأبد،؟! أعرف أن اليوم الذي سنطالب فيه بالتغيير والحقوق قريب، وأننا لن نخذل هذه الدولة، وإن خذلنا حكامها غير الشرفاء، وأننا سنعلي كلمة الحق في الانتخابات القادمة ونختار من يمثلوننا في مجالس الشعب والشورى والمحليات ومن يكون رئيسًا للجمهورية.. كي نقضي على هذا الفساد الذي تشعب نتيجة التنازل عن حق شرعي وهو الانتخاب، ونتيجة لتبجح هؤلاء المتحكمين في دولتنا الحبيبة ونهايتهم قريبة إن شاء الله بأيدينا.

٥- مجلس الشعب

وبعد الانتخابات يأتي دور الأعضاء المنتخَبين في خدمة الوطن، وهذا ما لا يحدث أبدًا، فمجلس الشعب هو أكبر دائرة فساد مصرية على الإطلاق، بدأ من اختيار أعضائه، كما ذكرت، إلى بدء سَن القوانين والتشريعات، فرئيس المجلس يملي القرارات ويصيح بثقة وهدوء «موافقة» في حالة أُعجب الكبار بالقرار، وإذا كان القرار سيأخذ الحق، أو أنه سيفيد الشعب على حساب المستثمر، إذن ينطقها بهدوء «رفض»، وهكذا الحال؛ للمستثمر الحق الأول، فكم مرة سمعت مسئولاً ينطقها بكل تبجح وعلانية «المستثمر هو أولوياتنا» ونحن المواطنين في سلة المهملات الوطنية!

عجبًا وألف عجب من أعضاء المجلس الكرام، فهذا يمثل العمال والفلاحين وعمله رجل أعمال.. كيف سيعبر عن طبقة لم يعش معها ليعرف مشاكلهم؟! وكيف سيفهم هؤلاء وهو ليس منهم؟! وأخر من رواد الأحزاب، وفي مقدمتها الحزب الحاكم، لا يدركون الفارق بين الديمقراطية والليبرالية، وكل دورهم هو رفع أيديهم عندما يأمر ولي نعمتهم.. وحتى المستقل يرشح نفسه ثم يدخل الحزب الوطني كي يكون رجلاً عصابيًا جديدًا بهدف اقتسام الكعكة مع اللصوص الآخرين والاستفادة من منصبه.

كل هذا لتزداد دائرة الفساد تعقيدًا، وكل هذا يدمر المجتمع لصالح فرد وعصبته.

هؤلاء هم ممثلو القانون والعاملون عليه، ففساد القانون يولد فساد كل النظم الإدارية والمؤسسات في الدولة.

فإذا كانت القوانين في بداية نشأتها تهدف إلى خدمة الكبار، فيجب أن نعترف أنه الشيء الوحيد الذي ظل بهدفه المتدني الأول حتى الآن، وإذا حدث تغيير في هذا الهدف الأول يتدنى المسئولون بخلقهم استعادة لهدفهم المتدني الذي يبحثون عنه دائمًا.

٦- الأحزاب والحركات الطلابية

نعرف جميعًا الأحزاب، ولكن بالأسماء، فالقليل جدًّا من المصريين يسعون وراء معرفة أهداف الأحزاب والحركات الطلابية ونجهل مطالبها وسياساتها، ولكن لم تخل هذه الأحزاب المعارضة من الفساد أيضًا، ليس من كوادرها ولكن من كوادر المندسين بداخلها كي يهدموا دعائم كل حزب ويحطموا أحلام مؤسسيه ويضربوا بأهدافه ومعتقداته عرض الحائط، فتشويه سمعة الأحزاب هي السياسة المتبعة حاليًا في مصر من قبل رجال الحزب الحاكم، يرمون أصحاب الأحزاب بالزور أو يرشون ضعفاء النفوس منهم كي يفسدوا نظام هذه الأحزاب وتآلفها وتعاونها ضد الديكتاتورية التي يمارسها الحزب والحاكم. وللحديث عن الحركات الطلابية سأذكر أكثر الشباب تحمسًا في القضاء على الفساد والمطالبة بالتغيير وهم «حركة شباب ٦ أبريل» التي برز تحركها بعد السادس من أبريل لعام ٢٠٠٨ «أحداث شغب المحلة»، وحين أرادت الحكومة تشويه صورتهم، كنوع من الفساد السياسي الذي تتبعه، ألصقت بهم أحداث شغب المحلة التي كانت في الحقيقة شغبًا لقوات الأمن، إذ إنها كانت مكيدة مدبرة لعكس الأنظار عن طلبات شباب المحلة، وكانت أحداث المحلة وليدة لحادثة لا يعرفها الكثير، إذ إنه حتى الساعة الثالثة والنصف عصرًا كان الوضع هادئًا في كل الشوارع والميادين، ولكن في ذلك الوقت صرخت سيدة «بعزم ما فيها» وقامت بسب الرئيس، إذ إنه أفقرهم، ومن خلال غلاء الأسعار لا يمكنهم شراء الاحتياجات، فسمعها شخص من رجال الشرطة فقام بضربها، فثار الشباب وتابعت ثورتهم هذه الأحداث بأحداث أكثر سخونة تلفت انتباه الإعلام فتضيع الحقوق والمطالب ويعتقل ويسجن المطالبون، كما شهدنا في ذلك الوقت، وعلى الرغم من أنني لا أتفق مع بعض الأساليب التي يتبعها أعضاء الحركة ككتابة الإعلانات للحركة على الجدران وتشويهها والتزامهم ببعض ألفاظ السب.. فماذا يكون هذا بجانب من شوهوا تاريخ دولة بأخلاقها الاجتماعية والسياسية والحضارية؟!

٧- ضحايا رجال الشرطة

زادت مساوئ رجال الشرطة ورجال الأمن، فبعد أن كانوا مصدرًا للطمأنينة أصبحوا مصدرًا للشر والفساد، إذ بدلاً من أن يحاربوا السرقات فضلوا تقليد المسئولون الأكبر بتقاسم الكعكة مع الجناة ضد المجني عليهم، فتبادلوا السرقة والتهريب وتجارة المخدرات والقتل وحتى ممارسة الجنس مع الداعرات بدلاً من الإبلاغ عنهن.

«خالد سعيد» هو أحد ضحايا الشرطة الكثر هذه الأيام، وكل ذنب هذا الرجل أنه شهد عملية اتفاق ما بين ضابط شرطة وبعض تجار المخدرات في التخلص من ضبطية مخدرات لحسابه الخاص.. فكان جزاء هذا الرجل أن أوسعوه ضربًا حتى الموت على أيدي هؤلاء الجناة الذين كانوا يومًا هم رجال الشرطة. تحيرت في هذه القضية ولكني أتهم كل مسئول تخلى عن واجبه، وأتهم كل رد فعل سلبي في هذه القضية، ولكن رأيي الخاص أن من سيعاقب هو الأقل ذنبًا، فإن كان الصمت هو اتهام لكل شخص يستخدمه، إذن فما الدليل على أن المعاقَب هو المدان الوحيد؟ ورأيي أن فوق كل فاسد رجل فاسد يتقاسم معه الكعكة، وأن مقتلك يا خالد ليس في ذمة رجل فاسد فقط، بل في ذمة دائرة من الفساد تحاط بنا وتدمر في دولتنا وتقتل المستقبل.. رحمك الله أخي الغالي، ووعد مني «حقك لن يضيع أبدًا».. فموتك صحوة حق من المولى أحيا بها قلوب الكثير نحو العدالة والمطالبة بالحقوق.. فأنت الباب الذي فتح على مصراعيه لاكتشاف ما أخفاه عنا الجناة.. أحييت الكثير فابتسم أيها القائد.

ولم يكن خالد سعيد الضحية الأولى، ولم يكن الأخيرة، ولكنه الضحية التي ألقت الضوء على تلك الأحداث المهينة للشعب المصري الذي لا يعامل بآدمية في بلاده، بل يُعامَل كالحيوانات من قبل جهاز فاسد يستحقره الشعب المصري أجمع، تبعَ هذه الحادثة الكثير من الحوادث في حق أبناء الوطن،

فالتعدي والاعتقالات والإهانات والضرب والسب والتحكم والذل.. كانت أفعال جهاز الشرطة المصرية في عهد حبيب العادلي الذي تربع على كرسي الوزارة وتحكم وتمكن منها فأصبح الديكتاتور وأصبحت وزارته دولة تتحكم في الدولة لصالح الكبار اللصوص المخربين أصحاب الكروش الواسعة التي لا تمتلئ أبدًا، فأصبحوا «البودي جارد» الخاص برجال الأعمال سارقي الشعب المصري، سارقي الأحلام والمستقبل.

٨- الصحافة

وصل الفساد لكل مجال في الدولة، ولكن الصحافة هي الأكثر تأثرًا في هذا المجال، فالتهديد والوعيد والاعتقال لصاحب الرأي الشريف أصبح عائقًا كبيرًا لخروج الحقيقة والنيل من المفسدين..

فالصحافة القومية التي تشن حملات «لا يوجد فساد يا بلدي» و«نظيفة يا بلدي» هي الأكثر تغلغلاً في هذا الفساد، إذ إنهم لا يكتبون ما تمليه عليهم ضمائرهم، بل يكتبون ما يمليه عليهم الفاسدون، وإلا سينالون العقاب، وبدلاً من أن يصبحوا دليلاً وإرشادًا للفساد أصبحوا يتقاسمون الكعكة كغيرهم من الفاعلين.

ولكن يا صحافتنا القومية ويا رؤساء التحرير والوزراء ويا رئيس الجمهورية ويا كل رؤساء العرب إن كان الفساد هو وهم من قبلنا فمن أين تأتي صحافة المعارضة بهذه الأخبار بالأدلة والبراهين والصور؟! أم أنها صحافة وهمية أيضًا وأخبارها وهمية؟ وسرقة مال الدولة وأراضيها بحجج الاستثمار والعشوائيات وكل هذه الأخبار وهمية أيضًا؟ أتعلمون؟ لن يطول الفساد أكثر من ذلك، وإن ظننتم أنه يطول فعقولكم هي الوهمية «صدّقوني».

وأقولها كلمة.. إن ظن أحدكم يومًا بين كل هذه الأخبار أنها كل الحقيقة فأنتم تخادعون أنفسكم، فهذا ما ظهر منهم بتعديل وصياغة كي لا يصل أحدهم إلى الكوارث الكبرى وراء فسادهم.

فالحرية في بلدنا هي كلمة لا نعرف معناها إلا نظريًّا.

٩- فساد التعليم

أبدعت حكومة مبارك في تخريب التعليم بكل صوره، فأصبح ضعيفًا هشًّا لا يعتمد سوى على الحفظ والتسميع، أي أن المراحل التعليمية جميعها أصبحت تعتمد على التذكر وإغلاق العقل.. «ما صحيح نفهم يعني ونقول لهم إنتوا حرامية، مش عيب».. أصبح الطالب المصري في صراع ما بين أسئلة الامتحان وغريزته المعرفية المكبوتة التي تقتل تمامًا بالوصول للمرحلة الثانوية، والمرحلة الجامعية هي أكثر المراحل خطورة، فهي «سلاح الدمار الشامل» في وطننا حتى الآن.. ليس هناك كلام كثير على التعليم، إذ إن الصورة واضحة مناهج عقيمة وهيئة تدريس مقيدة وامتحانات للطالب الغبي فقط..

والمثير للاشمئزاز أنه بدلا من زيادة الميزانية المقدمة لتطوير التعليم وتطوير المنشآت التعليمية طبقًا لمعايير الجودة، استغل الوزراء والمستشارون أروع الأهداف لتحقيق أطماعهم الشخصية من نهب وسرقة.. «سُرق مال التعليم من رجال التعليم». والغريب في الأمر أنها وزارة للتربية والتعليم.. فماذا سيكون الحال إذا لم تسبق كلمة التربية التعليم؟!

وماذا ستكون حجتنا أمام أبنائنا الطلاب، أم أننا سنعلمهم الدرس الأول في الاحتيال؟ وكيف لا يتعلم أبناؤنا الاحتيال ومثلهم الأعلى في العلم والأدب مجرم ولص؟! وكيف نقوي بداخلهم دعائم الحق ونحن نزرع النصب والغش والكذب والجرم منذ طفولتهم في المدارس؟ ولكن الأهم أن وزارة التربية والتعليم قد خلت من التربية حقًّا، وأيضًا خلت من التعليم، إذن أين هي أهداف الوزارة؟ أين هم أصحاب الرسالة العلمية والتربوية من المعلمين؟ أين نحن في هذا الزمن وإلى أين سنصل؟ وكيف سنخرج جيلاً بأكمله لا يفقه في التعليم سوى اسم المادة؟

لقد دمرنا رؤوس أبنائنا بأيدينا، والحل ليس بالبعيد؛ فعلى الوزارة والحكومة أن يواجها هذه الكارثة بحذر بتغيير المناهج إلى مناهج تناسب مستوى عقلية الطالب المصري وتوجيهه بالأساليب الحديثة من البحث والفهم لا الحفظ فقط، وكذلك تدريب هيئة التدريس وفتح مجال لتوصيل المعلومة وإظهار قدرات الطالب وكذلك موظفي الوزارة، وأرى أن الإصلاح قريب من رجال مصريين يريدون لهذا البلد أن يعود مصر الأم والريادة من جديد.. مصر التي بدأت بتعليم كل دول الخليج، بل كانت الرائدة في نشر التعليم والثقافة في كل الدول العربية، وفضلها لا يستطيع أحد نسيانه، نريد بوطننا الازدهار العلمي من جديد، لا بالكلام بل بالحركة والأفعال، والبداية منا ومن رجال الدولة، أعتقد أن وزير التعليم ليس بعاجز عن الوصول لمستوى راقٍ من التعليم، وإذا تكاتفنا في وجه الفساد في هذه المنظومة الهامة فسنفعل الكثير وستعود بلادنا إلى الريادة من جديد..

وبالتوجه لسلاح الدمار الشامل، وهو المرحلة الجامعية، فالفساد بها أكثر وأعمق، والدليل على ذلك تدهور خريجي الجامعات وعدم الإقبال على المصريين في الكثير من الدول، لأن كفاءتهم ليست كافية لشروط العمل وأعبائه، نريد الإصلاح جميعًا، حقًّا نريد الإصلاح عن لساني ولسان كل فرد يغار على هذا الوطن، يجب أن نتكاتف ونعيد البناء من جديد، وإن كلفنا ذلك أرواحنا فهي فداء لإصلاح وتقويم هذا الوطن الذي يجري في عروقنا قبل الدماء، فالاعتزاز بمصر ليس شعارًا بل إنه واجب على كل مصري يغار حقًّا على وطنه ويريد رفعته وتطوره.

١٠- الخصخصة

فجأة ومن دون أي مقدمات وبحجج سد العجز في ميزانية الدولة والتآمر على إثبات خسارة بعض الشركات الحكومية، توجهت الدولة لبيع الكم الأكبر من شركات القطاع العام التي كانت تنتج دون خسائر، وإن خسرت يومًا

فهي مكيدة للتحايل على المواطنين لإتمام عمليات البيع التي توالت دون توقف، وكانت النتيجة هي تشرد الكثير من العمال وأسرهم في الشوارع وكثرت الاعتصامات والاعتراضات، وأصبح المواطن المصري هو المعاقَب من أفعال الكبار وشهواتهم التي لا تنتهي.

وسؤالي الآن: ماذا استفادت الدولة من هذه الخصخصة؟ بل ماذا استفاد المصريون أصحاب المال؟

والإجابة هي لا شيء، بل زادت الخسارة وامتلأت حسابات اللصوص في الداخل والخارج على حساب المواطن المصري الفقير فاختفى الهرم الاجتماعي واختفت معه الطبقة المتوسطة وأصبحت مصر بين طبقتين: فاحشة الثراء، ومن هم تحت خط الفقر بكثير..

١١- تدهور الأخلاق

بعد أن كانت دولنا العربية هي بمثابة البيت الآمن في كل العالم، أصبح هذا البيت الآمن الآن مكانًا للرقص وممارسة الجنس والاغتصاب بحجج واهية كالسياحة وغيرها.

فإذا نظرنا قريبًا إلى مدن مصر الكبرى، وبالأخص مدينة شرم الشيخ، فسنجد ما أتحدث عنه.. نساء عاريات لا يؤمنَّ بالله ولا بالعادات وليس لهن من الحياء شيء، وعندما تخاطب المسئول عن هذا الفساد يقول إنها السياحة، وهي مصدر قوي في دعم الدولة اقتصاديًّا، وعندما تشاهد اثنين يتبادلان القبلات والحركات الجنسية التي لا تصلح إلا في غرف النوم يقولون إنهم غرباء وهذه هي العادات.. العادات هي عادات الدولة المضيفة، فعلى هؤلاء احترام عاداتنا كما يفرضون علينا احترام عاداتهم، وإن كان اقتصاد الدولة سينهار من وقوفنا ضد هذا الفساد الذي نراه كل يوم ولا نتكلم فلينهر الاقتصاد، فالمال الذي يبنى مما ينافي عاداتنا ويجعلنا تحت أقدام الجميع لا حاجة لنا به، ولدولتنا.. ويا دعائم الدين.. أتعجب من دور الأزهر إذ إنه لا

يحرك ساكنًا في هذا الأمر، ولكن أعتقد أن تعيين مُفْتٍ يشيد بالفساد يخرس الجميع حتى شيوخ الأزهر الأفاضل.. أشك في أنهم يقتسمون الكعكة مع الكبار، ولكن الأكيد أن من يتكلم منهم يقطع لسانه في الحال..

وإذا نظرنا إلى القنوات الفضائية التي أباحت كل شيء؛ العري والألفاظ الدنيئة والحركات القذرة من فتيات بعن أنفسهن لجني الأموال.. ولكن السؤال الذي يشغل نفسي، تفعلون هذا على شاشات التلفاز علنًا؟ فماذا تفعلون في الخفاء؟!

كفانا مهازلَ وكفانا صمتًا، فهذا الوطن يحتاجنا جميعًا يدًا بيد، فالتغيير سيبدأ منا وبالتعاون على ردع هؤلاء القلة الذين يلوثون حياتنا وعاداتنا وأخلاقنا بالكتب الإباحية والمواقع والكليبات، هذه الدولة أطهر وأنظف بكثير مما يقومون به على شاشات التلفاز، هؤلاء الذين يبحثون عن المال، وإن كان في المقابل بيع أنفسهم وتلويث أبنائهم وإخوانهم وأخواتهم، بل إنهم يستطيعون بيع كل شيء في سبيل أنفسهم فقط، لا في سبيل وطننا الحبيب الغالي مصر..

١٢- تأثير الفساد على الشباب

زاد الفساد خطورة بحيث إن الأرقام الضخمة والكروش التي تمتلئ كل يوم لوثت طموح الكثير من الشباب، وتلوث المستقبل بفعل القليل من الحقراء الفاسدين.

فإذا سألت شابًا هذه الأيام: ماذا تريد أن تفعل؟ فستجد الإجابات مباشرة وصريحة، وهي أنه لن يفعل شيئًا وسط هؤلاء الوحوش، ولكن إن استطاع أن يشغل منصبًا جيدًا فسيسرق مثل ما فعل غيره، أو أنه سيختار الهجرة إن أتيحت له الظروف ليعيش بعيدًا عن هذا الجو الفاسد العفن في كل المؤسسات والنفوس، وبين كل المسئولين أو اللصوص القذرين في هيئة كبار الدولة..

ولكن الفساد ليس فقط في شهوة المال، بل إن الجنس والخلاعة والمجون هي من النتائج الأساسية للفساد.. فالفساد في العقول والقلوب يقود الإنسان إلى أبعد الحرمات، فزادت معدلات التحرش الجنسي وتعاطي المخدرات التي يتخذها الشباب وسيلة للهروب من هذا الواقع العقيم ومن الأحلام التي في ظل هذا الفساد كله لن تتحقق أبدًا، كذلك زادت معدلات الهجرة غير الشرعية وحدثت الكثير من الكوارث لشباب مصر من حالات النصب المتتالية وكذلك الموت الذي يصاحب كل شاب يفكر في الهجرة غير الشرعية هاربًا من بلد أطاح به الفساد فوصل إلى القاع.

١٣- نتاج الفساد وأسباب الثورة

أصبحت المبالغ المطلوبة لسد حاجات المواطنين اليومية أكثر بكثير من دخلهم الشهري، وهو الطريق الذي ضاقت به المعيشة على الطبقة الكادحة في المجتمع، وزاد ذلك تدهورًا وسوءًا التحكمُ الأول في هذه السلع، وكثرت العصبية والتفرقة، والسبب الأول في ذلك هو بلادة من سوَّلت لهم أنفسهم السرقة والنهب والتعدي على حقوق الغير والتآمر على معيشة هؤلاء الفقراء المساكين، فزادت العشوائيات وتقطعت السبل بهؤلاء ليتوجهوا إلى طرق السفر غير الشرعية، وكل ذلك لسد احتياجاتهم.. هؤلاء المساكين ضحية الفساد في كل دولة.. الضحية التي تعاني كل يوم والتي لا تطالب بالحقوق كاملة خشية الاعتقال وتدمير الأسرة.

أصبح الشباب عاجزين عن الزواج، وكل ذلك بفعل البطالة. المشكلة التي لا تعالجها الدولة لرفع الأذى المعنوي عن شبابها والاستفادة من خبراتهم.

توجه الكثير من الصغار لترك التعليم من أجل التسول وغيرها من الطرق غير الشرعية لسد جوعهم وجوع أسرهم، وإيمانًا منهم بأن من تعلم جالس مثله لا حول له ولا قوة.

نحن أصحاب مال هذه الدولة «الضحية» فبدلا من أن ننعم بخيرات بلدنا يسرقها العاملون لدينا للحفاظ عليها، وبدلا من أن يحمي الجيش حدود الدولة، والشرطة تحمي الأهالي، أصبحوا جميعًا يحمون كبار الدولة الأقلية كي يتقاسموا الكعكة.

الإضرابات العمالية احتجاجًا على غلاء الأسعار وإنهاء عمل الكثير منهم بالمعاش المبكر وغيرها من الأساليب التي أطاحت بحقوق العمال.. وكانت هذه نتيجة من نتائج الخصخصة.

مقتل خالد سعيد وغيره الكثير من ضحايا فساد جهاز الشرطة وبعض الضباط الفاسدين.

تزوير انتخابات مجلس الشعب ٢٠١٠، وبمعنى أشمل تزوير إرادة الشعب.

فالشرف لا يسد الاحتياجات، كما يقول اللصوص دائمًا..

من أجلك أنت.

سنوات من الجهل السياسي والتعتيم الإعلامي، سنوات من الخداع والتجاهل والترويع.. سنوات من حكم العسكر تحت راية المدنية وشعار الديمقراطية.. هي سنوات لحاكم تجاهل كل طبقات المجتمع المتوسطة والفقيرة ليتذكر طبقة اللصوص والكروش الممتلئة، طبقة الفاسدين ويتذكر ذاته، فقط.

حزب يحكم من أجلك أنت.

من أجل جهلك وعنادك وتغييبك.

من أجل قمع حريتك وسلب حقوقك.

من أجل الإطاحة بإنسانيتك وإذلالك.

من أجل أن تكون تحت خط الفقر لتتعذب أنت وأسرتك وتتحطم طموحاتك البسيطة.

من أجل أن تكون بلا قيمة.. بلا ثمن.. تضيع في سبيل الفساد من أجل الكبار.

كل هذا من أجلك أنت!

إعلام كاذب وقتل وفساد وسرقة وتزوير وترويع والاستيلاء على المال العام،

قضايا تربح وإهدار لثروات الوطن..
كل هذا من أجلك أنت.. وماذا تريد بعد كل هذا؟
ممنوع التذمر والكلام.
أأنت إنسان لتتذمر؟!
أتظن أن لك حقوقًا أيها الـ«تيييت»؟
أغلق فمك أيها الصعلوك فليست لك حقوق تطالب بها أو تبحث عنها، وإن فكرت في الكلام فستسكتك عصا الأمن وتعذيب النظام.
تزوير إرادة المنتخِبين والبحث عن فضائح للشرفاء واللعب بمشاعر المواطنين وتضليلهم..
كل هذ أيضا من أجلك أنت!
نعم من أجلك أنت أيها الـ«تيييت»
رئيس جمهورية سيئ السمعة «نعم».. سيئ السمعة بحكومته ونظامه وابنيه وزوجته وحزبه وعصابته وكل من يحيطه شعاره «من أجلك أنت».
يستخدم الإعلام سلاحًا يضلل به شعبًا كاملاً، شعبًا يكثر فيه السذج الذين يصدقون أي شيء وكل شيء في التلفاز، فيقتنع بالأكاذيب التي يبثها له النظام ليل نهار، حتى وإن كانوا يسرقون أحلامهم ويقتلون مستقبلهم بـ«عقار سام سريع المفعول»، هذا هو وصف الإعلام الحكومي المصري، وبعض الإعلام الخاص في عهد مبارك، وللأسف حتى الآن..
ونتيجة هذا السلاح الفتاك أصبح الجهل يملأ العقول، فاكتفى الشعب بتمجيد الرئيس كإله يعرف كل شيء، ولا يريد محاسبته، أو حتى المطالبة بحقوقه، توقفوا سنوات وسنوات كالبلهاء لا يتكلمون ولا يحركون ساكنًا، ولكن الطبقة المطحونة في العمل دون مقابل مُرْضٍ لم تعجبها هذه البلاهة فبدأوا في تنفيذ فكرة الاعتصامات والامتناع عن العمل للمطالبة بحقوقهم لنيل حياة كريمة لهم ولأسرهم، وانتشرت هذه الفكرة في كل قطاعات الدولة ما بين العمال والموظفين حتى اتحدوا على مطلب حد أدنى للأجور، لكن

الحكومة اتهمتهم بالعبث في اقتصاد الدولة وتراجع الاقتصاد بسبب أفعالهم ومطالبهم، وأنها ستفعل ما يريدون. وظلت تماطل وتماطل وتُسَوِّء سمعتهم في الإعلام الحكومي والخاص بأنهم السبب الأول والدائم في تدهور الاقتصاد المصري على الرغم من أن مصر ليست لها خطة أو نظرة اقتصادية من الأساس..

ولكن الشباب لم يعجبهم هذا الوضع المتدني للوطن من تعليم وصحة وفساد إداري وسرقة ونهب، فاجتمعوا على تطوير هذا التعليم الفاسد الذي لا يجدي نفعًا في سوق العمل، وتوفير فرص العمل للشباب حتى يتسنى لهم الزواج أو حتى الحياة.. وبعد تزوير الانتخابات البرلمانية اجتمع الجميع على ضرورة الكلام والثورة على هذا الفساد، فلا بد من المطالبة بإعادة الانتخابات وتغيير المواد الدستورية التي تعطي الرئيس الكثير من الحقوق والصلاحيات وتعديل مواد انتخاب الرئيس ولا يتعدى حكم الفرد الواحد دورتين متتاليتين، وليس ٣٠ عامًا مثل مبارك.. ومن هنا اندلعت الثورة «ثورة ٢٥ يناير» لأسباب تراكمية جميعها يصب في دائرة الفساد وحب السلطة، وانتصرت إرادة الشعب في تحقيق الكثير من مطالب الثورة الأولية والثانوية ومنها عزل الرئيس حسني مبارك وبدء محاكمة الفاسدين، وعلى رأسهم أسرة الرئيس المخلوع، ووزير الداخلية، والإسكان، والصناعة، ورجل الأعمال أحمد عز محتكر الحديد، ووجهت لهم تهم الكسب غير المشروع وغيرها كثير من القضايا والبلاغات التي يقوم النائب العام بالتحقيق بها، وحكم على وزير الداخلية بـ١٢ عامًا في قضية الكسب غير المشروع، وما زلنا ننتظر أحكام باقي القضايا له وللجميع.

لهذا قمنا بالثورة

كي نطهر النفوس والوطن من كل هذا الفساد، كي يحصل المواطن الفقير على حياة كريمة ويعامل معاملة طيبة كإنسان له حقوق وعليه واجبات..

وكان شعار الثورة: «عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية».. وتبعه الشعار الأكبر: «تغيير.. حرية.. عدالة اجتماعية»..

«التغيير».. تغيير نظام فاسد، تغيير سلوك فاسد، تغيير في مجتمع قارب على التآكل من كثرة الفساد والبحث عن الذات وعن المستقبل وعن الحياة في ظل ظروف عصيبة تتآكل فيها الطبقات لتتلاشى الطبقة المتوسطة وتدخل في نطاق الطبقة الفقيرة فأصبحت مصر بين طبقات: الفقير، والفقير المعدم، والفاحش الثراء..

وكانت مطالب الثورة الأولية:

تعديل بعض المواد الدستورية الخاصة بالانتخابات.

إعادة انتخابات مجلس الشعب المزوَّرة.

وكان شعار الثورة: «عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية».. وبعد تتابع الأحداث ووصول المطالب إلى تنحي الرئيس وتغيير النظام، أصبح الشعار: «تغيير.. حرية.. عدالة اجتماعية»..

وهذه مطالب الثورة الكاملة بعد تتابع الأحداث ومقتل أول شهيد:

يوم الخامس والعشرين من شهر يناير.. يوم قال فيه الشباب كلمته، فخرجوا من جميع أنحاء الوطن لتعلو كلمة «لا للفساد» عاليًا فترتعب قلوب وتسعد قلوب أخرى وتنشق صفوف المخربين والفاسدين بعيدًا محاولين الهرب، وتتجمع وتتلاصق صفوف الحق وكلماته من أفواه شباب هدفهم محو الفساد وتحقيق العدالة الاجتماعية وإسقاط نظام فاسد بنوعه وبرئيسه وبكل كوادره..

خرج الشباب في هذا اليوم من كل درب وصوب ليتجمعوا في الميادين العامة ويصرخوا في صوت واحد: «لا للفساد»، و«الشعب يريد إسقاط النظام»، لتستجيب كل طبقات الشعب بكل أعمارها لهذه الثورة الشبابية، ونادوا بيوم الجمعة ليكون يومًا للغضب الشعبي، فتتجمع مئات الآلاف في كل المحافظات يطالبون بإسقاط النظام وتكوين نظام آخر يعبر عن إرادة

الشعب المصري بكل اتجاهاته ومطالبه.
واشتعلت الثورة..
يوم الغضب:
في يوم الغضب، بل دعونا نكن أكثر موضوعية ونَقُل إنها أيام الغضب، ظهرت لوحة متشابكة الأحداث، حاولت أن أستشف تفاصيلها محاولاً فهم تلك اللوحة، لكن يبدو أنها مليئة بالأحداث بشكل يفوق قدراتي على الملاحظة.
ففي تلك اللوحة ظهر للعيان شباب من نوعية جديدة، شباب يعي ويفهم ويقدر معنى كلمة وطن، يعي جيدًا مفهوم التغيير، حاول بكل رقي أن يحتج ورد بقوة حينما حاول أن يحافظ على بقائه، يحمل بين طياته الكثير من المثقفين من الكتاب والصحفيين والمدونين والناشطين الحقوقيين، واستطاع أن يدير ما يعرف بـ«الفوضى المنظمة».
وستلمح في تلك اللوحة أيضًا شبابًا من الصعب أن يقتنعوا بجدوى الاعتراض والمظاهرات، فهم قانعون بأن الطريق صعب طويل، وأن العدد لا يكفي. وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين؛ قسم يائس لكنه لا يحبط المتحمسين بل يدعو لهم ويتابع أخبارهم، وجزء آخر من هؤلاء الشباب كما يقولون «لا منهم ولا كفاية شرّهم» اكتفوا بموقف المثبط والمشكك في النيات والقدرات، وأن التغيير محال أن يأتي بتلك الطريقة.
وستلمح في الطريق شبابًا يتمسكون بتيارات دينية قررت مقاطعة المظاهرات، إما لتوجه عام من تلك الجماعة (الإخوان)، وإما لإفتاء بعض المشايخ بحرمة الخروج على الحاكم، وأن المظاهرات من الأشياء التي تستنزف فيها الطاقات والجهد فيما لا يفيد.
وستبصر في تلك اللوحة شبابًا لا يعنيهم ما الذي يحدث، وأن هناك شبابًا آخرين ينزفون الدماء لأجله، فهو ما زال، وكما يقول صديقي، الـ«فيس بوك» «بتاع بنات مش بتاع مظاهرات»، فكل ما يشغله ما زال «الفريندز» على قائمة الشات والسهرة اللطيفة مع أصدقائه، أو يتحدث عن آخر الأخبار

الرياضية، بل ربما أغضبه أن تتسبب تلك المظاهرات في تأجيل مباريات الدوري، وآخر الحفلات الغنائية لنجومه المحببين لتجد في حفلات المشاهير أو المباريات الكبرى مشجعين لا يقلون عن المائة ألف، بخلاف مثلهم يكونون خارج الاستاد، وأضعافهم يتابعون المباراة أو الحفل أمام الشاشات، فبلاده لا تعنيه، وآخر حلوله إن تأزمت المواقف أن يبحث عن فرصة هجرة أو عمل خارجي.

وستبصر أيضًا في تلك اللوحة رجال المعارضة، من يحاولون دومًا أن ينسبوا أي عمل لأنفسهم ولا يهمهم هذا الشعب الكادح (يصطادون في الماء العكر)، فهم في رأيي مثلهم مثل الحزب الحاكم ما إن يتمكنوا من السلطة حتى يستولوا على كل شيء، فهم يطمحون لمصالحهم الشخصية، لذا فما إن بدأت المظاهرات حتى ظهروا بكل قوة لكي يظهروا في اللوحة جيدًا ويحيط بهم الإطار ليكونوا أكثر وضوحًا للناس، فبدأوا في سرد مطالب وفي مطالبة الحكومة عن لسان باقي الشعب، وكأن الشعب قد عينهم ناطقًا بلسانه.

وستبصر أيضًا في هذه اللوحة جنودًا يضربون أبناء وطنهم، لا يعلم هذا الجندي «الغلبان» أنه ربما يضرب أحد أقاربه أو أخاه أو ابن قريته أو ابن بلده، وقد وضحت صورة أكثر تفاؤلاً في هذه الصورة بالذات، حيث تعاطف الكثير من رجال الأمن مع المتظاهرين لأول مرة منذ سنوات، فربما في تلك المرة كان الرد حادًا، وعلى الرغم من قوة الرد كانت المفاجأة بتعاطف البعض.

وستبصر بكل تأكيد وزراء ومسئولين يتحدثون عن بلد آخر وكأنهم مسئولين في كوالالمبور، يطلعون علينا بأخبار مفبركة حول وحدة الوطن، وأن المتظاهرين هم قلة وفئة من العاطلين المندسين الذين يعيثون في الأرض فسادًا ولا يعنيهم ولا يهمهم أمن هذا الوطن، وسيقللون من أعداد المتظاهرين، فلا مانع عندهم من أن يحذفوا من عدد المتظاهرين صِفرًا أو اثنين وربما أكثر، فالأمر عندهم سواء، وعندهم الهمام العادلي قادر على محق أي مظاهرة مهما كان حجمها، فهم في أيد أمينة معه، فهم يثقون فيه

وفي قدراته على الجلد والتعذيب والتفريق طوال سنوات كثيرة، لذا فثقتهم فيه كبيرة، وتغييبهم للناس عما يحدث في البلاد هو طريقهم دومًا لتهميش الأحداث.

وستجد في تلك اللوحة أيضًا قنوات بدأت بالتعتيم الإخباري، وما إن وُضعت في موقف حرج ووصل الأمر للإعلام الأوروبي والأميركي حتى بدأت تلك القنوات في التغطية بحيادية لتظهر إحدى تلك القنوات أنها تعمل بوجهين، فهي تصالح من تصالحه حكومتها وتقف في وجه من يقف في وجه حكومتها، لتظهر الوجوه وتسقط الأقنعة.

أكثر ما في تلك اللوحة من ملامح أضفت عليها نوعًا من النور الذي يريح العين لمن ينظر إليها هو استفاقة الشباب، وأن إرادة الشعب كانت أقوى من القنابل المسيلة للدموع، ومن الرصاص المطاطي ومن الهراوات والعصي والأسلحة البيضاء التي سرَّح بها الأمن المسجونين والبلطجية خلف المتظاهرين.

كما لاحظت في تلك اللوحة عدم وجود قائد يلتف الجميع حوله كما كان يحدث دومًا في المظاهرات الكبرى التي غيرت تاريخ مصر، ولا أدري في الحقيقة أهذه ميزة أم عيب، ولكن ربما هذا هو الأفضل لتلك المرحلة، المهم أن لا يظهر أحد ليقطف ثمرة العمل. واتضح أيضًا فشل من نصَّبوا أنفسهم قادة للتغيير، مثل البرادعي وأيمن نور، فما زال هذا الوطن ينتظر قائدًا بحجم أكبر بكثير، رجلاً يأتي من صميم قلب هذا الوطن قد عاش وتعايش مع جميع أحواله وتقلباته، لا أدري أين هو ولكني ما زلت أنتظر أن يدخل اللوحة لكي تكتمل.

إن هذا الشباب ليس شبابًا عاديًّا، بل شباب من نوع خاص، شباب يعي جيدًا ما يدور بالوطن، أصبح من الصعب أن يُتلاعب به، وأن يهدأ بكلمة أو كلمتين، فالأمر أصبح فيه دماء سالت وتسيل ولن يسكتوا عن حق من سالت دماؤهم، أصبحت اللعبة تدور بالحكومة، وإن لم تستفق وتستمر في

غطرستها فستأخذ على أم رأسها. حتى إن لم يكن هذه المرة.
ما زالت تلك اللوحة واسعة وبها الكثير، سأترك لكل قارئ أن يتأملها كما يشاء، وحتمًا سيصل إلى الكثير فيها.

لماذا قمنا بالثورة؟!

سؤال يلح بكل قوة على عقلي: لماذا قمنا بالثورة؟ والسؤال ليس محض دعابة طرحها عادل إمام في مسرحية «الزعيم»، ولكنه سؤال حقيقي واقعي يطرح نفسه على الساحة، لقد خرجنا جميعًا نحن الشباب وأيدنا الخروج طوال أيام الغضب، لم يستطع شخص واحد أن يمسك علينا خطأ أخطأناه في هذه الأيام لتصبح الشرطة وحدها هي المتورطة فيما حدث من خروج المظاهرات عن كونها سلمية، ولتتحمل وحدها تبعة تهور وزيرها وأوامره المجحفة التي لا تخرج إلا من طاغية لا يحمل في قلبه أي معنى من معاني الإنسانية، اضطربت الأحوال فجأة؛ فلقد حققت نجاحًا لم يستوعبه الجميع ليظهر لنا المتنطعون والمرتزقة ممن حاولوا أن يقوموا على أكتاف تلك الثورة، ولكن بقي الشيء الأهم، فلم يكن في البداية النداء بإسقاط الرئيس، بل كان بإسقاط النظام، لم تدعُ إلى إسقاط رأس النظام، وخطوة بعد خطوة وكلما سيطر المتظاهرون على الميدان تكبر مطالبهم وتتعاظم مع قوة موقفهم.
ولكن لنعد إلى الوراء قليلاً ولنفكر في بداية تلك الثورة ولماذا بالفعل قمنا بها؟!

لقد قمنا بها ردًا على القمع وقهر الحريات بكل وسائل القوة، وردًا على الفساد الذي ملأ الأجواء وأصبح ينتشر كالهواء الفاسد في سماء مصر دون أن يرحم مواطنًا واحدًا من أن يتخلل أنفه، وبحق لقد أسهم الجميع في الفساد، من رئيس الجمهورية وحتى أصغر موظف حكومي، فالمسئولية مشتركة، ولكن السبب الأكبر في القيام على الحكومة هي سطوة جهازي الشرطة وأمن الدولة على البلد لتصبح تحت حكم بوليسي خالص قائم على القمع.

لقد اخترنا أن نقاتل من أجل حرية تعبيرنا ومن أجل مصر، واليوم نحن يقاتل بعضنا بعضًا وتركنا هذا المبدأ الرئيسي الذي قامت لأجله الثورة، ستجد اثنين في كل بيت يختلفان في الوضع الراهن، وستجد بين كل صديقين شحناء وبغضاء لما حدث من فرقة، ومن يقول إنه لا توجد فرقة وإنه مجرد قلة مندسة.. الأمر الذي تصوره قناة «الجزيرة» بما تضيفه لأخبارها من قليل من التوابل لتضفي على أخبارها نوعًا من التشويق وجذب الانتباه، أو ما تقوم به الفضائيات المصرية من محاولة إظهار الحياة بلونها الوردي وكأن الأمور مستقرة ولا يوجد شيء يستدعي هذا كله.. وأن من في «التحرير» الآن قلة مندسة، دَعُونا من توابل «الجزيرة» وورد القنوات المصرية، سنتكلم بلغة البسطاء ممن يملأون الشوارع، فمن ينزل إلى الشارع سيجد انقسامًا بين فريقين، مؤيد ومعارض، وهذا هو الذي لا شك فيه، ولا يهمنا من على صواب ومن على خطأ، ففريق «التحرير» ينظر إلى من هم في البيوت أو تركوهم وعادوا كأنهم خونة وضحية للإعلام المصري ممن استخف بعقولهم، وفريق المؤيدين يرى أن من في «التحرير» متسببون في توقف حال البلاد، وأنهم من يشيعون الفساد الآن بعد أن بدأوا بإصلاح حقيقي دوى صوته في كل أرجاء البلاد، الأمر الذي ترتب عليها صحوة غير عادية للنظام.

لقد أردت من كلماتي هذه ألا ننسى في النهاية أن قمنا لأجل حرية التعبير، فلا نجعل خلافنا في الرأي سببًا لفرقتنا وتباعدنا، لما رأيته من تنافر وتباعد وخصام بين من كانوا أصدقاء بالأمس وصاروا اليوم أعداء، وأصبح الطرفان يعامل كل منهما الآخر بموقف التخاذل والخيانة وعدم النظر إلى مصلحة مصر..

فبالله عليكم لا تجعلوها بداية فرقة بينكم.. لن يخسر بعضنا بعضًا لمجرد رأي شخصي، لنتقِ شر تلك الفتنة، سندعو لمن في «التحرير» ولن نثبط أحدًا عن موقفه، ولن نتهم ممن يحملون الفكر الآخر بفساد النيات، فالاثنان إخواننا في النهاية.

لنفكر قليلاً ونعد للوراء إلى ليلة الخامس والعشرين ولنتذكر أهداف ومبادئ سعينا لأجلها، ولنعلم حقًّا لماذا قمنا بتلك الثورة؟!

تحيا مصر

ما زالت أيام الغضب مستمرة، لا يوجد شيء على الساحة يعلو في الأفق غير الحديث عنها، لن تجد بيتًا في مصر كلها مهما كان مستواه الاجتماعي أو ثقافته إلا وهو يتابع بكل ترقب ما يحدث في كل الميادين بصفة عامة، وميدان التحرير خاصة، بين مؤيد ومعارض ومتعاطف ومستنكر، غير أن الملاحظ في الفترة الأخيرة أن التوحد عاد من جديد، ليعلو ويسمو صوت واحد وهو مصر أولاً، فما زال الجميع يحرسون بيوتهم وشوارعهم يقفون يدًا بيد في مظهر تعاوني لم يحدث منذ سنوات، فكأنهم ثلاثون عامًا عجاف لم يذروا زرعًا ولا ماء ليترك الوطن كالصحراء القاحلة.

إن ما يحدث الآن من سمو ورقي في التعاملات ووجود شباب ناضج وواعٍ ومثقف يدرك معنى وقيمة الوطن ويضحي بدمه من أجله لبداية قوية لمستقبل مشرق، يحمل في طياته نسمات الأمل والتفاؤل لرقي هذا الوطن الذي يستحق منا الكثير، فمصر كانت وما زالت هي صاحبة قوى وسحر الشرق وإن مرت بكبوة فإنها تمرض ولا تموت، لتعود من جديد لتقف على أقدامها بفضل أبنائها الذين ضربوا أسمى معاني التحضر والبذل في سبيل الوطن حينما أعلنوها «سلمية.. سلمية» لتكون بذرة على طريق الحرية، هذا الطريق الذي كثيرًا ما حلمنا به وانتظرناه ونحن اليوم نبنيه، نبنيه بالدماء والعرق والجهد والوقت، وإن دفعنا المزيد والمزيد فلا شيء يعلو على حب مصر في قلوبنا.

لنتكاتف إذًا يدًا بيد لنمر من عنق الزجاجة ولنعلو ونربو باسم مصر، فالوطن هو دومًا ما يبقى والدماء تُسكب لأجله، ولنعلنها بكل قوة ما دام فينا نَفَس يدخل ونَفَس يخرج «تحيا مصر»..

من أيام الغضب
إلى أيام الإصلاح

لقد رحل النظام ورئيسه، هكذا وكما كنا نحلم رحلوا جميعًا، إلى غير رجعة، رحيل بدأ بأيام الغضب التي استمرت ثمانية عشر يومًا، والتي انتهت لتسفر عن أمل وحلم جديدين، وأن الأحلام كلها مشروعة وممكنة ما دمنا نسعى إليها بكل قوة ليتحول يوم الحادي عشر من فبراير إلى يوم تاريخي للبلاد، ولتصبح ثورة الخامس والعشرين من يناير هي الثورة الأروع والأكبر في تاريخ الشعب المصري، وربما كل الشعوب العربية.

سنعود للوراء قليلاً لنتذكر البداية، فالبداية كانت مع الثورة التونسية التي استطاعت إسقاط نظام بن علي لتثبت للدول العربية أن كل شيء ممكن، وكل شيء متاح، وأن الشعب إذا أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر..

لتبدأ الدعوات المصرية على موقعي الـ«فيس بوك» و«تويتر» للبدء في ثورة في مصر، ولتكن هذه الثورة في يوم الاحتفال بالشرطة لتعرف جيدًا مدى جرمها، وأنها أصبحت تستعبد الشعب وليست في خدمة الشعب. هذه الدعوات لم تعرف قائدًا معينًا أو زعيمًا لها، وهذا أكبر ما كان يميز تلك الدعوات؛ أنها اتسمت بغياب القائد ليتحول الشعب كله إلى قادة.

وفي يوم الرابع والعشرين أعلن البابا شنودة مقاطعة المسيحيين للمظاهرات، فرد المسيحيون: أنت أب لنا في الدين، ولكن دع لنا السياسة. لينزلوا ويرفضوا النداء، وكذلك يعلن مكتب الإرشاد مقاطعة «الإخـوان» لمظاهرات يوم الخامس والعشرين، لينزل أيضًا شباب «الإخوان» متجاهلين هذا الخطاب..

فكان الاختيار والنزول يوم الخامس والعشرين، لينزل مئات الآلاف إلى الشوارع منادين بإسقاط النظام لتقابل قوات الأمن هذا الطوفان من الشعب بمنتهى القمع والعنف، فبعد القنابل المسيلة للدموع يستخدم الأمن الرصاص المطاطي (المحرم دوليًّا) وبعدها الرصاص الحي، بالإضافة إلى الاستعانة كالعادة بمعتادي الإجرام والخارجين على القانون لترويع المتظاهرين، وبحملة اعتقالات موسعة، ولكن المتظاهرين لقنوهم درسًا جيدًا في فنون التحمل والصمود، فالأمر هذه المرة مختلف عن ذي قبل، فالموضوع ليس

مجرد مظاهرة عادية أو حشد وسيمر، ولكنهم يودون هذه المرة إسقاط النظام والقضاء على الفساد ورموزه، ويعامل الإعلام هذه المظاهرات بمنتهى الاستهانة والتحقير من شأنها وشأن أصحابها لتعلن القنوات المصرية أن العشرات نزلوا للشوارع في مظاهرة، ولتخرج علينا الجرائد الحكومية لتقول بأن الشعب خرج احتفالاً بالشرطة ولمقابلتهم بالورود! ويتجاهل الرئيس هذه المظاهرات، ويعلن وزير الداخلية في هذا الوقت أنهم مجرد العشرات من المندسين من «الإخوان»، وأن الأمر تحت السيطرة، ويستمر الأمن طوال الليل في قمع المظاهرات، والمتظاهرون يصرون وبكل قوة على الاستمرار ويقررون البقاء والاعتصام في «التحرير»، ويقرر «الإخوان» وكل الحركات والأحزاب والشباب النزول وبكل قوتهم من يوم السادس والعشرين، وكذلك الشباب الذين لا ينتمون لأي تيار يقررون مساندة شباب ٢٥ يناير ليتحد الشعب في مشهد لم يحدث لسنوات، ليستمر هؤلاء في صمود من يوم الخامس والعشرين وحتى الثامن والعشرين، وفي ليلة الثامن والعشرين تقرر الحكومة قطع الإنترنت عن جميع أنحاء مصر، وكذلك إيقاف شبكات المحمول وإيقاف أي وسيلة اتصال بين الشباب، ولكن الحكومة غفلت أن يوم الثامن والعشرين هو يوم جمعة مما يجعل الناس مجتمعة بما لا يجعل هناك أي داع لتجميعهم، فهم مجتمعون ليخرج الجميع في «جمعة الغضب» ليخرج فيها الشباب في كل محافظات مصر بلا استثناء..

وينقلب السحر على الساحر لتخرج كل الجموع تنادي من جديد بإسقاط النظام، وتقابلها الشرطة كعادتها بمنتهى القمع والقسوة والشراسة أقوى من أي مرة حدثت في تاريخ مصر، وبحملات اعتقال موسعة، ولتبدأ الشرطة أيضًا في إخراج جميع المسجونين و«المسجلين خطر» من جميع سجون مصر لتعم البلاد الفوضى والنهب والسرقة والقتل ولتسفك المزيد من الدماء..

ولكن هذا الجهاز نسي أن الشعب هو القوة الأكبر وهو الشرعية، فلم يتحمل هذا الجهاز كثيرًا وسرعان ما خارت قواهم فلم يجدوا بُدًّا من الضرب

بالرصاص الحي لتحدث حالة من الانفلات يحرق فيها الشعب مقر «الحزب الوطني» وبعض أقسام الشرطة، ثم يسيطر الشعب، ويستعين الرئيس بالجيش لفض المظاهرات..

ويصدر وزير الداخلية أمرًا بانسحاب الشرطة فتحدث فجوة بين انسحاب الشرطة ودخول الجيش، فلقد انسحبت الشرطة مبكرًا قبل وصول الجيش لتدع الفرصة في هذا الوقت للشعب كي يسيطر على مجريات الأمور، فيسيطر على سيارات الأمن المركزي ويحرقها ولتصبح مصر، ولأول مرة، تحت سيطرة الشعب، يدخل الجيش فيستقبله المتظاهرون بالترحاب رغم دمائهم التي تنزف منهم، فهم يعرفون جيدًا أن الجيش معهم وجزء منهم ولن يضرب شعبه أبدًا. ليخرج علينا الرئيس بخطاب يعلن فيه إقالة الحكومة ويدعوها إلى تقديم استقالتها، وكذلك وعود بتحقيق الأمن والاستقرار والقضاء على البطالة، ولكن الشعب يأبى هذه المسكنات، وعلا صوته من جديد «الشعب يريد إسقاط النظام». وتبيت مصر ليلتها هذه في رعب من ترويع الآمنين بالبلطجية والخارجين على القانون، ليبدأ الشباب في تكوين اللجان الشعبية للحفاظ على شوارعهم من هجمات المسلحين الذين هُرِّبوا من السجون بمعرفة الشرطة لنشر الفزع بين الناس وترويع الآمنين لتتجلى صورة أخرى من عظمة هذا الشعب، ففي «التحرير» يجلس الشباب كتفًا بكتف، وفي الشوارع يجلس الجار إلى جاره كتفًا بكتف لحفظ أمن شارعه وبيته.

وفي اليوم التالي يعين الفريق أحمد شفيق (وزير الطيران المدني) رئيسًا للوزراء، واللواء عمر سليمان (رئيس جهاز المخابرات) نائبًا لرئيس الجمهورية، ولكن الشعب أيضًا يرفض بكل قوة، فهو عازم كل العزم على إسقاط النظام، ولتستمر تلك المظاهرات وليصمد الجميع في ميدان التحرير وكل محافظات مصر، وخصوصًا في محافظة السويس التي قُطعت عنها كل وسائل الاتصال وأصبحت معزولة عن باقي محافظات مصر، حتى يأتي يوم الثلاثاء الموافق الأول من فبراير ليتجمع المتظاهرون في مظاهرات مليونية تشهدها البلاد

لأول مرة، لتهز هذه المظاهرة أرجاء القصر الجمهوري مما جعلت الرئيس يخرج علينا في تلك الليلة بخطاب «الفتنة»، مثلما عرف في ذلك الوقت، فلقد قسم هذا الحوار وبعث روح الفرقة بين الشعب، فانقسموا إلى مؤيد ومعارض، وحينها أيضًا ظهرت فئة محايدة لا تريد سوى الاستقرار، ودعم الإعلام هذا الخطاب بحملة كبيرة لتشويه المتظاهرين بين التحرشات الجنسية و«الأجندات الخارجية» والدعم الخارجي واتهامهم بالخيانة وبأنهم عملاء لجهات أجنبية، وبأنهم قلة مندسة تعمل على تخريب البلاد، ليتحول الأمر إلى مسرحية هزلية يضحك فيها الإعلام على نفسه محاولاً إيهام الشعب، فلقد وعد الرئيس في هذا الخطاب بتعديل المادتين «٧٦» و«٧٧» من الدستور فيما ينص على تحديد فترتين للرئاسة وقبول الطعون على الدوائر التي طعن عليها في انتخابات مجلس الشعب السابق، والتعهد بعدم الترشح من جديد، والعزم على الاكتفاء بما قدمه خلال ثلاثين عامًا، وتسليم سلمي للسلطة، وأنه سيموت على أرض هذا الوطن، وأن الوطن باقٍ والأشخاص زائلون، وأن الجميع، جيلاً بعد جيل، يعمل لخدمة هذا الوطن، ولقد اقترب هذا الخطاب من أن يستميل قلوب الكثير بالفعل، ولكن الله عز وجل أبى إلا أن يفضح هذا النظام ويظهر فساده للعيان، وأن الأمر محض خدعة، ففي اليوم التالي يقوم مجموعة بدخول أرض ميدان التحرير فيما عرف بموقعة الجمل ليضربوا بكل ضراوة المتظاهرين معتمدين على البلطجية وبعض عناصر الشرطة السرية، ليتأكد الجميع أن الأمر مجرد خدعة، وأن النظام قد انكشف للعيان، ليستمر أيضًا الإعلام في لعبته القذرة مستندين على آراء بعض المشاهير من النجوم من المؤيدين وبعض المرتزقة ممن خرجوا تأييدًا للرئيس ليظهر للناس مدى حب الشعب للرئيس، متجاهلين الملايين الذين اعتصموا في التحرير يقولون لا بكل قوتها، ومكتفين بمشهد النيل على القناة «الأولى»، وأن من في التحرير مجرد قلة مندسة وسوف يعودون لمنازلهم بعدما يملون من جلستهم في الشوارع، لتستمر المظاهرات بكل

قوة في مظاهرات مليونية مستمرة حتى يوم العاشر من فبراير.. ليخرج علينا الرئيس أخيرًا بعد صمت طويل ليعلن تفويض سلطاته إلى نائبه اللواء عمر سليمان، وأنه سيكمل حتى ينهي فترة ولايته الأخيرة، كما تعهد من قبل.. ليقوم المتظاهرون في التحرير برفع الأحذية والإعلان بكل قوة عن أن مطلبهم الوحيد هو رحيل الرئيس، وأنهم باقون حتى يرحل الرئيس.

وتشتعل القاهرة ولا تنام في تلك الليلة، ليلة العاشر من فبراير، وتستمر الوفود في النزول إلى ميدان التحرير ومحاصرة مبنى التليفزيون والقصر الجمهوري والدعوة في اليوم التالي إلى «جمعة الزحف (الحسم - الرحيل)» لينزل الجميع إلى الشوارع في التحرير وفي كل محافظات مصر بالملايين، معلنين «الشعب يريد إسقاط الرئيس»، ليخرج السيد عمر سليمان في الساعة السادسة مساءً يوم الحادي عشر من فبراير معلنًا تنحي الرئيس وخضوع الدولة لحكم المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

يرحل الرئيس السابق إلى شرم الشيخ وتبقى الحكومة لفترة مؤقتة برئاسة أحمد شفيق ويصبح كل شيء في الدولة تحت إشراف الجيش المصري.. ويصبح يوم الحادي عشر من فبراير عيدًا قوميًّا لكل المصريين وتتحول ثورة الخامس والعشرين من يناير إلى أكبر وأعظم ثورة في تاريخ مصر.

إن السنوات الثلاثين العجاف التي عشناها ما هي إلى مرآة لحال الجميع، ليس للحكومة والمسئولين فحسب، فقد استشرى الفساد بكل أنواعه في جميع شرائح المواطنين، بداية من أصغر موظف وحتى الرئيس المخلوع، ولكن كل يفسد بنسبة وبقدر معين، فكلنا - بلا استثناء - أسهمنا في هذا الفساد، فمنا ولي علينا، فقبل الخامس والعشرين من يناير استفاق الشعب ليبدأ صحوة جديدة ومرحلة نحو التغيير، ولقد كان له ما أراد، لذا أصبحنا نستحق حاكمًا وحكومة أكثر رُقيًّا بقدر رُقي الشعب، وكلما سما وعلا ورقى هذا المجتمع رقى وسما وعلا الحاكم والمسئولون، لم نصل بعد لتلك المرحلة الكاملة من النضج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ولكننا وبلا شك قطعنا

شوطًا كبيرًا نحوها.
لقد عانى الشباب في تلك السنوات العجاف أيضًا من فترة تَدَنٍ في الأخلاق من تحرش وفساد ومخدرات وجنس وإضاعة الأوقات فيما لا يفيد، وما إن بدأت الثورة حتى وجدنا الشاب بجوار الفتاة دون أن تحدث حالة تحرش واحدة، وجدنا المسيحي يحمي ظهر المسلم في أثناء الصلاة، وجدنا كل الجموع تقضي كل الأوقات يبتهلون إلى الله عز وجل في مشهد ديني ربما غاب لفترات، وكذلك عادت العلاقات الوطيدة بين الجيران التي كانت قد انقطعت، ليتعرف الجار على جاره لأول مرة وهم كتفًا بكتف يحمون شارعهم من اللصوص والخارجين على القانون لتعود روح المودة والصلة بيننا إلى سابق عهدها.
في بداية ما بعد الثورة ينبغي إيقاف وبكل حزم كل محاولة للمتنطعين والمرتزقة ومتسلقي الأكتاف ومن ينسبون لأنفسهم كل شيء ومن يتلونون بألف لون وينسلخون من جلدهم، وينبغي إيقاف أي محاولة للتفتيت بين الشباب أو إجهاض تجمعهم، فما زال هناك الكثير من ضعاف النفوس ممن يحاولون الإيقاع وخلق الفتن بكل شراسة وضراوة، إنهم ينتقمون انتقام الأسد المجروح الذي يعتدي على أي شيء يقابله في طريقه.
وربما احتجنا أيضًا أن نجمع كلمتنا، وأن نتفق على كلمة واحدة، وأن لا يكون الانقسام منا نحن، وأن نترك نظريات المؤامرة والتخوين جانبًا، فلسنا نحن الشريحة المثقفة التي قامت من أجل بلدها من تفعل هذا، فنحن أسمى وأرقى من أن نفعل ذلك.
لن ننسى أن هناك البعض ممن يؤيدون النظام السابق أو أحد كوادره، وأنا لا أعني هنا المرتزقة ومن تكسبوا من الفساد الذي كان يحتويه النظام، ولكن أعني المواطن البسيط الذي يظن خطأً أنه عاش في زمن استقرار ليس فيه حروب، فمثل هؤلاء ينبغي أن نأخذ بأيديهم ونتحملهم ونأخذ بالرأي والرأي الآخر ونصل لنقاط اتفاق فلا نخسرهم ولا نهزأ بأفكارهم، فإن دعوا

إلى مظاهرات شكر وعرفان فتلك حريتهم الشخصية، فلقد قمنا بتلك الثورة في البداية لأخذ حقوقنا التي كان أولها الحرية، وفي أول يوم للتنحي بارك الجميع مولود الحرية، فلنلتزم إذًا حرية التعبير والرأي وعدم الاستهانة بعقلية الآخر، فكلنا مصريون ولا شك، كلنا نحلم بوطن راقٍ وأمن، فلنحافظ على ما اكتسبناه من رقي وسمو في التعامل.

لقد انتهى الكثير من الفساد، ولكن الفساد حتمًا وأبدًا موجود، ففي ظل هذا الجو من التجمع ستجد من يحاول أن يستغل تلك الفوضى ليسرق أو يستولي على أراضي الدولة أو يبني على الأراضي الزراعية أو يهرب شيئًا خارج البلاد أو يجلب شيئًا للداخل، فالمفسدون وضعاف النفوس دائمًا ما يوجدون في كل مكان لأنهم لا يعرفون سوى مبدأ واحد فقط في حياتهم «مصلحتك أولاً»، ومهما أضر بمصالح الوطن فهو لا يعنيه كثيرًا، فمثل هؤلاء مرضى، ومع الوقت سيذوبون ويدركون، لكنهم حتمًا الآن فرحين بمكاسب دنيوية ستزول حينما يستقر وضع البلاد، ليميزوا ساعتها الخبيث من الطيب.

لقد تبين أيضًا أن المسلمين والمسيحيين إخوة في هذا الوطن، وليس هناك فارق، فالفرقة كانت آتية من النظام السابق نفسه، وهو وحده من سعى لها بكل قوة ليأخذ منها دافعًا للبطش والهتك وفعل ما يحلو له، فقد عادت الثورة بالعلاقات إلى سابق عهدها وأكثر بعد أن تدهورت قليلاً بعد حادث كنيسة القديسين.

إن هذه الثورة لم يختلف عليها اثنان، حتى المؤيدون للنظام السابق كانوا يعلمون مدى نجاح تلك الثورة، وأنها غيرت مصر للأفضل، فهم ممنونون لكل الشباب الذين شاركوا بخالص الشكر والتقدير، وأنهم رفعوا رأس مصر عالية مرة أخرى كما كانت دومًا.

لقد مرت سنوات والشرطة تبطش وتضرب بيد من حديد حتى جاء الوقت وسحبنا الثقة منها، ويصبحون هم من يستميلوننا حتى نثق فيهم من جديد، وأن نساعدهم ليقفوا من جديد على أرجلهم، ليتعلموا أن الشرطة في خدمة

الشعب وليست في خدمة نظام الرئيس وقمع الحريات.
لقد تعلم الجميع درسًا هامًا في تلك الثورة: أن لا تحكم على شيء دون أن تراه بعينيك، فكل من شكك في شباب الثورة وهاجمهم، وربما سبهم، سرعان ما غير رأيه حينما نزل بنفسه إلى أرض الميدان ليدرك أنه كان ينفذ تعليمات دون أن يعي أو يفهم، وأن رؤية العين إدراك للحقيقة، وما سواها تضليل وتلبيس للحقائق دومًا.
لقد شارك الجميع في الثورة، سواء من خرج للميادين أو مكث في التحرير أو انشغل باللجان الشعبية أو أيد من هناك ودافع عنهم أو من تمنى أن يكون معهم أو من دعا لهم.. فكل شارك بنصيب وبجزء، فرحم الله شهداء الثورة وأسكنهم فسيح جناته. لقد ضرب الشباب أروع الأمثلة في حب الوطن والتضحية من أجله مما سيسطرها التاريخ.
تلك الثورة التي جعلت العالم الخارجي يعرف بكل وعي ودقة الشعب المصري؛ فهذا باراك أوباما، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، يقول: «يجب أن نربي أولادنا ليصبحوا كشباب مصر»، ورئيس وزراء إيطاليا يقول: «لا جديد في مصر فقد صنع المصريون التاريخ كالعادة»، وهذا هاينز شيفر، رئيس النمسا، يقول: «شعب مصر أعظم شعوب الأرض ويستحق جائزة نوبل للسلام»، واختتمها رئيس وزراء بريطانيا حينما قال: «يجب أن ندرِّس الثورة المصرية في المدارس».
لقد جاءت لحظة النصر وتنحى الريس وحُل مجلس الشعب والشورى، وستجرى انتخابات نزيهة في البلاد لأول مرة في تاريخ مصر، وسيلغى قانون الطوارئ.
لقد انتهت مرحلة لننتقل إلى المرحلة الأكبر، مرحلة الإصلاح الشامل لكل شيء، لنسمو أكثر ونرتقي أكثر، لنكون شعبًا يستحق حاكمًا أفضل، وحتى لا يكون تأثير الثورة علينا لحظيًّا ثم ينتهي، فلكل شيء ذروته التي تعود لتتراجع من جديد، لذا كان لا بد من وقفة لنعيد ترتيب الأوراق، فكما

يقولون «اطرق الحديد وهو ساخن».
والثورة المنتظرة الآن هي ثورة خمسة وثمانين مليون مواطن على أنفسهم، ثورة من أجل تغيير جذري وشامل يهز أركان كل منهم هزًّا ليبحث عن عيوبه ليصححها ويسمو ويرتقي أكثر وأكثر ويطور من نفسه وقدراته ليستحق هذا الوطن، فوطن مثل مصر يستحق منا الكثير، فسنبذل الغالي والنفيس من أجله، ولن نتهاون في حقه مرة أخرى، فاحذر أن تكون سببًا في انتكاسة وطننا، فأنت وأنا وهو وهي كلنا لبنة في بناء هذا الوطن، وكلما ارتقينا ارتقى حاكمنا، فمنا يولّى علينا.
علينا أن نسهم وبكل قوة في إعادة بناء هذا الوطن من جديد لنزيل الفساد من جذوره ولا نسكت أبدًا مرة أخرى على الظلم، فقد سكتنا ثلاثين عامًا حتى استفحل، لن نسكت أبدًا عليه مرة أخرى، سنقاومه بكل شراسة وفي كل مستوياته، ولن نضع له مبررًا، فضيق ذات اليد ليس سببًا للرشوة، وضعف الرواتب ليس سببًا للاختلاسات، وعلو مكانة المدير ليس سببًا لاستبداده، لقد وعي الجميع أن لكل ظالم نهاية، وأنك حتمًا ستسقط ستسقط، فلتتعلم من السابقين إذًا لتحافظ على كرامتك.
لقد استوعب كل من سيخول إليه أن يكون قائدًا في يوم من الأيام الدرس جيدًا، وتعلّم أن هناك شعبًا لن ينام مرة أخرى وسيحاسبه محاسبة الملكين، ولن يسكت عليه إذا ما حاول أن يتلاعب به.
لقد حان الوقت ليسهم كل منا بما يستطيع من أفكار وتطلعات في رسم الصورة التي ستكون عليها مصر في المستقبل، فلكل أحلامه الخاصة المشروعة والممكنة، وها قد بدأ عصر الحرية فاحلم وتخيل واكتب وارسم وناشد واطلب بحرية.
لقد تعلم الجميع الدرس جيدًا، لم يعد أحد بتلك السذاجة، ولقد وضح الزبد وذهب جفاءً واستقر الخير ورسخ في مكانه الطبيعي، لتعم الشعب حالة من الفرحة التي لن تتكرر في تاريخه، وسنفرح دومًا برقي هذا الوطن كما

كنا نحلم..

مصر بلدنا ونحن وحدنا من سيحافظ عليها، سنقول لا وألف لا لأي فساد، ولن نظلم أنفسنا مرة أخرى ونسكت عن حقوقنا، وسنضرب على يد الظالم والمفسد بكل قوة، من أصغر موظف وحتى أكبر مسئول، سنعي الدرس هذه المرة جيدًا وستكون بداية لصفحة كبرى مع التغيير والإصلاح الفردي والاجتماعي..

سنغدو على يقين بأن القادم أجمل بإذن الله، ولنبدأ على بركة الله نحو الإصلاح الفردي لكل شخص فينا يدًا بيد من أجل مصر.

مؤامرة

في يوم الحادي عشر من فبراير وحينما أعلن اللواء عمر سليمان تخلي الرئيس السابق عن المسئولية، وأن المجلس العسكري هو من سيحكم البلاد خلال تلك المرحلة الحرجة، سجدت لله شكرًا على رحيل الطاغية ونهاية عصر دام ثلاثين عامًا عشنا فيه سنوات عجافًا لم نعرف فيها سوى القمع والظلم والفساد، وقلت في نفسي الحمد لله، قريبًا سينصلح الحال، وإننا سنبدأ في الجزء الثاني من الإصلاح، إصلاح الشريحة الأعظم من الشعب، فالشعب نفسه استوطن في نفسه الفساد والرشوة والوساطة والظلم والمخدرات والجنس.. ويحتاج إلى تنقية من الداخل، نعم لقد غيرت الثورة في داخله حتمًا، ولكنه تغيير نسبي يشبه ذلك التغيير الذي يحدث حينما ترى موقفًا مؤثرًا فيجعلك تسير على الطريق المستقيم لعدة أيام، ثم سرعان ما تعود إلى سابق عهدك، ولكن للأسف لم يبدأ هذا، فلقد وجدت أيادٍ تجذبنا إلى حيث الهاوية، ففي كل يوم نفاجأ بأشياء تشغلنا عن هذا الإصلاح، وكأننا نتعمد أن نُوجد أشباحًا لنخوف أنفسنا بها، أو عادة المصريين القديمة حينما نفرح كثيرًا سرعان ما نردد «خيرًا.. اللهم اجعله خيرًا»، تُرى هل نستكثر فرحتنا وما صنعناه؟! أم أن الأشباح التي نصنعها توجد بالفعل؟! هل نسهم في قتل فرحتنا؟ أم بالفعل ما زال الطريق طويلاً لنبدأ في الإصلاح؟!

حالة من الارتباك والتخبط والضلال تسود، فمفكر كبير يتبنى رأيًا وآخر يتبنى الرأي المُضاد، وبمنتهى الصراحة أشعر أننا نحن الطبقة المثقفة المهتمة بالشئون السياسية والاقتصادية والأدبية نعيش في وادٍ والمواطن البسيط يعيش في وادٍ آخر، نعم لقد استاء الجميع من النظام ورحل النظام، ولكن سرعان ما بدأت الثورة المضادة متمثلة في المظاهرات الفئوية والضغط على الجيش بطريقة مبالغ فيها، وسرعان ما ظهرت الانقسامات في صفوف الثوار، فهذا مجلس قيادة الثورة وهذا مجلس ائتلاف الثورة وهذا مجلس أمناء الثورة وهذا حزب ٢٥ يناير وهذا حزب التحرير.. وما يجهز الآن على أكبر وأوسع، والناس المشاركون مستاءون من اختزال الثورة في تلك الأسماء أو

استغلال اسم الثورة، فعلى من يريد أن يشارك فليتكلم بأي اسم، ولكن لا يحشر اسم الثورة في كل شيء..

لقد اتسعت اللعبة بطريقة أكبر، وكل يوم تتضح لنا أشياء جديدة، في كل يوم سياسات تخوين جديدة لأصحاب الجبهة الواحدة، وإن اختلفنا فأنت ضدي أو أقل شيء سيقال لك «أنت مضحوك عليك». يبدو أن الخطوة الأولى أصبحت أصعب بكثير مما كنت أتخيل، رجاءً لنتمهل قليلاً في أي شيء يقال لنا، فكل الآراء تتحمل النقاش، وأن يكون صاحبها مخطئًا أو مُصيبًا مهما كانت خبرته، لنحكم العقول وننحي جانبًا نظرية المؤامرة ولا نتعامل مع حياتنا كلها على أنها مجرد مؤامرة.

مولود جديد

حينما تُرزق بمولود جديد تكون أولوياتك كلها منحصرة في الحفاظ على هذا الضيف الذي شرف توًّا لهذا العالم، فأنت تدرك جيدًا كيف تعتني به وتحرص أن تعامله بكل حرص، فهو لا يزال مولودًا جديدًا يحتاج إلى كل عناية وحب، خصوصًا أن أقل مرض أو تعب أو ضغط قد يعرض حياته للخطر..

ولقد رزقنا الله مولود الحرية، أصبحنا في حاجة ملحة إلى رد وردع كل من تسول له نفسه المساس بها.

وكالعادة بدأت المناوشات والتخبطات والاختلافات كما حدث في أيام الثورة، فنحن صنعنا ثورة لكي يجني ثمارها غيرنا، وصنعنا ثورة لتقابل بثورة مضادة بمنتهى العنف والقوة.. فالمرتزقة والمفسدون لا يخضعون لعرف أو قيمة، لأنهم تعودوا أن يكونوا دائمًا مع الفوضى والقمع والسلطة، لذا فهم يحاولون بكل قوة إفساد تلك الثورة ليعودوا إلى أماكنهم، فبعد أن ابتعد الكثير عن «الحزب الوطني» وفقد الكثير من رجاله سرعان ما عقدت أمانات الحزب في كل محافظات مصر اجتماعات، وعقدت النية على الاستمرار على الساحة والمشاركة بكل قوة في الانتخابات القادمة، وأن تكون بداية للترشح للرئاسة.

إذًا هناك مهمات كثيرة بدأت منذ إعلان التنحي؛ أولها مهمة الحفاظ على مكتسبات الثورة بكل قوة، وثانيها مهمة التصدي للفساد والفاسدين، وثالثها وأهمها توعية وتثقيف المواطن العادي البسيط بما يحدث، فالمواطن العادي لا يهمه الآن سوى زيادة راتبه ووصول السلع التموينية بالكامل له، وأن يعيش عيشة لا يمد يده فيها لأحد ولا يهمه المشاكل والخلافات الحالية، وأن يشعر بالأمان في ظل حالة من غياب الشرطة..

بل ربما رأى من في التحرير الآن على أنهم بالفعل مخربين، فماذا يريدون الآن؟! فها قد رحل الرئيس كما أردنا، والجيش وعد بالإصلاح، والنائب العام يحقق في البلاغات المقدمة، والبلد في طريقه إلى الإصلاح، والحكومة الجديدة أغلبها وجوه جديدة، فماذا يريد من ينزلون إلى المظاهرات الآن؟ «ده لعب عيال بقى»، بل ربما استشاط غضبًا لتأخر العلاوة الـ١٥٪ في حالة مغادرة

الفريق أحمد شفيق لرئاسة الوزراء، فمفهوم الثورة المضادة ومفهوم ديل النظام الذي لا بد أن يقطع، والفرق بين مفهوم التنحي والتخلي، ومصطلحات قطع رأس الأفعى وذيلها، فتلك مصطلحات كبيرة لا يفهما ولا يستوعبها جيدًا.

هناك ١٥ مليون شخص يسكنون العشوائيات، بالإضافة إلى المرتزقة والمنتفعين الذين يملأون مصر في كل قرية وكل مركز وكل مدينة، فلا يخلو شارع في مصر من تلك الفئران، ناهيك من فئران المحليات التابعين للحزب والذين كانوا يعينون بتوصيات «الحزب الوطني»، وبعض ضعاف النفوس ممن يبيعون أنفسهم من أجل بعض المال، فليس كل مواطن في هذا البلد يقدر جيدًا ويعرف معنى الحب والانتماء لهذا البلد، فهناك الكثيرون ممن يتبعون مبدأ «مصلحتك أولاً»، ليس كل الشعب بهذا المستوى من الرقي الفكري ليعرف بمدلولات الثورة المضادة، وأن الثورة بالفعل محاطة بكل الجراثيم الفتاكة التي لا بد أن تُزال قبل أي شيء.

نحن الآن نحارب في جبهات كثيرة طبقة المثقفين ممن ينقسمون حول خلافات تنادي بعضها بالتهدئة وترك الجيش، وطبقة أخرى تنادي بأن الشعب هو من ينبغي أن يحمي ثورته بنفسه، خصوصًا بعد اعتداء بعض أفراد الجيش على المتظاهرين، وكلتا الطبقتين تعي جيدًا معنى الثورة المضادة وفي أي وقت سيتحدون، فليحكِّموا فقط العقول ويرتبوا الأوراق مرة ثانية ليعرفوا أين الحقيقة، وليسمعوا للمحايدين والمشهود لهم بآرائهم الراقية ومن لا يشكك أحد في نزاهتهم أو قضيتهم، ولا يتهم بعضنا بعضًا بالتخوين على أقل الأشياء، وإذا ما وصلوا فليساعدوا الآخرين على الوصول.

لكن الأزمة الأكبر حاليًا هي أزمة تثقيف الشعب، وإلا سنصدم صدمة كبرى قادمة لنجد نصف أعضاء مجلس الشعب من فلول «الحزب الوطني» وكبار تجار السلاح والمخدرات ورجال الأعمال ممن لا يهتمون بمشاكل المواطن البسيط..

لست متشائمًا، ولكن المهمة بالفعل صعبة جدًّا، فأنت تريد أن تكون يقظًا لأي محاولة لاغتيال الثورة، وفي الوقت نفسه يجب أن نصل إلى كل مواطن مصري ليعرف معنى وقيمة الوطن مهما كانت ظروف معيشته وأحواله، ليعرف أن القادم سيكون أفضل، فلا يبيع ثمارًا يراها الآن عظيمة بأشياء ستغير مستقبله ومستقبل أولاده بأكثر مما كان يخطط أو يحلم في يوم ما.

نحو الهدف

في وقت تحولت شوارع مصر وبيوتها كلها إلى تجمعات سياسية، تقضي طوال النهار والليل تتكلم عن مستقبل مصر وعما هو قادم، وعن من يصلحون حقًّا لإدارة شئون البلاد، وستجد الناس بين مؤيد ومعارض، وبين اتفاق على أشخاص ورفضهم بالكلية، ستلاحظ بكل دقة أنه لا يوجد شخص واحد في هذه الفترة يجمع عليه الجميع. فبعد إن كانت السياسة بالأمس شيئًا ممنوع الاقتراب منه، واتباعًا لسياسة «امشي جنب الحيط»، فلقد كان الشعب كما يقولون «في جرة وطلع لبره»، أصبحت الأصوات لا تسكت أبدًا، وتحوّل الجميع إلى محللين سياسيين، وخبراء اقتصاديين.

وستجد من يتبعون من يتبعون النظام البائد في تعاملهم مع الحوار «من حقك تعبر عن رأيك واحنا هنعمل اللي عايزينه» ليتحول الحوار إلى حوار الطرشان، ويطالب من لا يجد أحدًا يسمعه بأن يكون له حق ليسمعه الجميع، فقد صنعنا ثورة تشمل حرية التعبير، فالتعبير هو أولى خطوات التغيير والثورة ليست حكرًا على أحد..

يقول تشارلز هيوز: «عندما نفقد الحق في أن نكون مختلفين فإننا نفقد امتياز كوننا أحرارًا». فأبسط الحقوق أن نستمع وبصدر رحب للآخر ونتناقش ونخرج بأصدقاء، بدلاً من سياسات التخوين التي طغت على الأجواء وأصبح كل من يختلف مع شخص إما خائنًا أو عميلاً للنظام القديم، وربما رأى الآخر أن من يتهمه بالخيانة هو الخائن، لأنه ضد استقرار البلاد وانتهاء حالة الاعتصامات.

إن كلاً منا له هدف يسعى نحوه، وهو أننا جميعًا وبلا أدنى شك نعشق تراب هذا الوطن، فلنترك إذًا تلك الخلافات جانبًا ولنركز مع هدفنا الحقيقي، وهو نهضة مصر.. وليخدمها الجميع كما يشاء وكيفما يريد، المهم أن يحكّم عقله جيدًا ويفعل ما يمليه عليه ضميره، ولا يتهم من أمامه بالخيانة لمجرد خلافه معه في وجهات النظر.

دعوة للهدوء فالثورات لا بد من أن تتبعها ثورات مُضادة، فقط محاولة ضبط النفس.

الشعب يريد إصلاح الشعب

على عكس كل التوقعات؛ ما إن أعلن اللواء عمر سليمان تنحي الرئيس مبارك، وتولي المجلس العسكري شئون البلاد، حتى بدأت الثورة الأكبر، فثورة الخامس والعشرين من يناير كانت بداية لثورة كبرى، ثورة ينبغي أن يتغير فيها الشعب، ليستحقوا وبحق حاكمًا أفضل..

ففي وقت طغى فيه الفساد على كل شرائح المجتمع - بلا استثناء - من أصغر موظف وحتى الرئيس نفسه، أصبحت الحاجة ملحة الآن إلى تغيير الشعب، وبكل تأكيد لن يرحل الشعب كما رحل الرئيس، ولكن التغيير الذي نقصده تغيير داخلي بالدرجة الأولى، تغير ورُقي بالأخلاق، ومعرفة واجباتك وتطبيقها كما تطالب بحقوقك، فلا تطالب بحقك قبل أن تؤدي واجبك. إن الشعب سيغير نفسه بنفسه لا يحتاج لشعب آخر كي يطالب بتغييره..

فلا بد أن يعلّم الأساتذة والمعلمات أبناءنا الحب والمثل والقيم التي افتقرنا إليها، وأن المعاملات الطيبة هي ما يدوم، وأن نحب ما نعمل، لا يقوم العلم كله على الضرب، ولا بد أن يتغير أساتذة الجامعات فيكفون عن استخدامهم الوساطة وتعيين أبنائهم وترك المتفوقين الذين يستحقون تلك المكانة، وهكذا ستمر على جميع المستويات العلمية، والوظائف والوزارات، وستجدها كلها مليئة بالفساد، فهذه السلوكيات تحتاج إلى رقي وعلم وفهم لمعنى وطن وبلد، والكفاءة، وأن كل مكان له رجله الذي سيبدع فيه.

ولن ننسى أن هناك الكثير ممن لا يحاولون التغيير؛ فيستغلون نجاح الثورة في أغراض دنيئة مثل من يبنون على الأراضي الزراعية ويستغلون غياب الأمن والردع، وكذلك من يستغلون تلك الفوضى في الاعتداء على بعضهم البعض، ويرون هذا الوقت مناسبًا لتصفية الحسابات، فأنت تستطيع الآن أن تقتل وتضرب وتسرق ولن يحاكمك أحد، وسترى من يبحثون عن «الكيف» الآن، فالمخدرات متاحة ولن يتكلم معك أحد، ومن الناس من يستغل كره الناس مع الشرطة الآن ليستغلوها لتصفية حسابات قديمة مع ضباط شرطة، محتمين بالناس وكرههم لهم، وستبصر أيضًا في موجات الفوضى أناسًا تفشت

فيهم وبداخلهم الوساطة والفوضى، وستبصر موظفين وعمالاً اعتادوا النوم في العسل وترك الشغل، وما زالوا يضعون شعار «فوت علينا بكرة يا سيد»، إن الحياة بعد الثورة ليست وردية كما يعتقد الكثير، ولكن ما فعلته الثورة هو أن وضعت أقدامنا على الطريق الصحيح، وعلى الجميع أن يختار بين أن يستمر فيه أو تغلبه السلوكيات القديمة فيعود إلى سابق عهده ويرفض التغيير، وستبصر أيضًا أناسًا يملأهم الفساد ولكنهم يمشون مع الجماهير، فهم بالأمس كانوا يفسدون حفاظًا على مكانتهم ووظائفهم، وهم اليوم يسهلون كل شيء حفاظًا أيضا على وظائفهم، فهم يلعبون على كل الوجوه، وهؤلاء أيضًا ينبغي أن يصيبهم التغيير الحقيقي، أن يفعلوا هذا مراعاة لضمائرهم وليس خوفًا من الناس.

إن طريق الإصلاح ما زال طويلاً، يحتاج إلى سنوات، وتكاتف شباب الثورة للنهوض بثقافة المواطن البسيط الذي لا يشغله سوى راتبه الشهري والتأمين الاجتماعي والتموين الشهري، فأحلامه أبسط من أن يرى رئيسًا عادلاً، فهو يريد أن يعيش فقط، ينبغي أن يتكاتف الجميع لتثقيف الشعب والناس سياسيًّا واجتماعيًّا، وأن يعرف الجميع دوره وأولوياته، فإن تركنا الحال ومشينا وراء نغمة أن الشعب تغير بالفعل، فربما نصدم فنجد في انتخابات مجلس الشعب القادمة تجار مخدرات ورجال أعمال مشبوهين، بل ربما كانت الصدمة أكبر ونجد عددًا لا بأس به للحزب الوطني، سواء كانوا باسمه القديم أو مستقلين أو مستترين خلف أي اتجاه أو حزب..

لنكن منطقيين ونعترف أن الشريحة العامة استوطن فيها الكثير من الأمراض، ينبغي أن نتخلص منها جميعًا، لنستحق بالفعل رئيسًا يحكم فينا بالعدل وبمنتهى المساواة، وحتى لا نضطر كل شهر إلى أن نقف وقفة في «التحرير» لنعزل وزيرًا ما أو محافظًا ما، فستكون المهمة ساعتها أسهل بكثير، ومن يشطط عن تلك التغيرات فليُردع إذًا بقوة القانون.

سأقول ربما

في كل يوم تصل إلي دعوات للنزول يوم التاسع عشر من مارس للتصويت على التعديلات الدستورية، وغالبًا ما تأتيني تلك الدعوات مُغلفة برأي صاحبها، فمن ينحاز للتصويت بـ«نعم» هو بالفعل شخص مقتنع بالتعديلات، لذا فهو يرشدني إلى المقالات المؤيدة لكلامه وإلى كبار الفقهاء والكتاب المؤيدين لوجهة نظره، وكذلك من يريد أن يصوت بـ«لا» يفعل الخطوات نفسها وبالترتيب نفسه، لذا فقد قررت أن أنزل يوم الاستفتاء لأقول وبكل ثقة «ربما»!!

في البداية لست مع اعتناق رأي والإصرار عليه وبشدة؛ لأن الأمر يحتاج إلى تريّث وسماع جيد لكلا الطرفين من غير أن تجعل شخصًا بعينه هو مربط الفرس في قرارك، فلا تجعل أحدًا يعاملك من منظور أنه ولي أمرك وأنه مسئول عنك، فالحرية مكفولة للجميع، فليعتنق كل ما يشاء، وليتخذ الرأي الذي يراه مقنعًا من وجهة نظره بعد تحري الرأيين، والتفكر قليلاً وإعطاء المُهلة المناسبة لعقله لكي يتخذ القرار.

دعنا نبدأ إذًا ونستعرض وجهة نظر من يقولون بأننا ينبغي أن نصوّت على التعديلات بـ«نعم»، يقوم هذا الرأي على عدة نقاط أهمها:

١- أن التعديلات حتى الآن تكفل إقامة انتخابات حُرة نزيهة، وهذا كان أحد أسباب الثورة الطاهرة؛ أننا قمنا ضد الفساد بجميع أنواعه، التي كان أهمها التزوير الدائم لجميع الانتخابات بدءًا من المحليات وحتى رئاسة الجمهورية.

٢- عودة الأمن والاستقرار، حيث يرى البعض أن الجيش مضغوط عليه وبقوة من الخارج، حيث الحدود مع ليبيا وكذلك السودان وإسرائيل، ومشكلة المياه التي تفجرت من جديد، وبالتالي فالجيش يحتاج أن يرتاح ويسلم المسئولية في أسرع وقت ممكن، وبالتالي فلا نضغط عليه ليُعد دستورًا كاملاً الآن.

٣- حالة البلد في ظل غياب الأمان الداخلي، فحينما تستقر الأوضاع سيصبح من السهل السيطرة على جهاز الشرطة وتوجيهه في الاتجاه المناسب لردع

البلطجية والخارجين على القانون، مما يجعل الشرطة تتفرغ لهذا وحده.
٤- أن التعديلات ترضي الكثير خصوصًا الإسلاميين الذين يقولون «نعم» وبشدة، خصوصًا أن المادة الثانية تم الحفاظ عليها، وهم لا يضمنون ماذا سيحدث في الدستور القادم.
٥- وجود شروط تمنع أي شخص يحمل جنسية أخرى هو أو زوجته من الترشح للانتخابات الرئاسية، وهذا في حَد ذاته يعطي نوعًا من الأمان للكثيرين ويزيد الحس الوطني.
٦- وجود المادة «١٨٩» التي تدعو إلى إعادة تكوين دستور جديد (بغض النظر عن الجدل القائم بأنها ملزمة أو غير ملزمة)، ولكن هذه المادة أضيفت لضمان إعادة بناء دستور جديد. وإن لم يلتزم الرئيس الجديد بها فميدان «التحرير» موجود.
والآن دعنا إذًا نسرد الرد من الطرف الآخر ممن يقولون «لا» بكل قوة:
١- لأنهم يرون التعديلات على الرغم من ضمانها لنزاهة الانتخابات فإنها حافظت على جميع صلاحيات الرئيس، بمعنى أنه ما زال من حق الرئيس إصدار القوانين كما يشاء دون الرجوع إلى مجلس الشعب أو أي جهة سيادية.
ما زال من حق الرئيس إصدار قرارات بالعفو أو العقاب على أي شخص دون الرجوع إلى أي جهة.
ما زال من حق الرئيس عقد جميع الاتفاقيات الدولية دون الرجوع إلى أي جهة.
رئيس الجمهورية يصبح بالتبعية هو القائد الأعلى للقوات المسلحة.
بمعنى آخر جميع الصلاحيات في يده ولا أحد يحاسبه مما يجعله ما زال أشبه بالحاكم بأمر الله، أو دعنا نَقُل إذًا إنها صلاحيات تجعلنا إذا انتخبنا ملاكًا فسيتحول شيطانًا بفعل تلك الصلاحيات المُفرطة.
٢- يرى أصحاب هذا الرأي أن المستفيدين من تلك التعديلات في هذا الوقت هم «الإخوان» وفلول الحزب الوطني، وأننا إذا ما صوتنا بـ«نعم»

فسنسلمهم البلد وكأننا ما فعلنا شيئًا ولا أحدثنا ثورة. والدليل أن الجهتين اللتين تدعوان بكل قوة بالتصويت بـ«نعم» هما «الإخوان» والحزب الوطني.
٣- أن الجيش يبعد عنه المسئولية بطريقة فيها نوع من العجلة، فما المانع أن يطلب صياغة دستور كامل في غضون ثلاثة أشهر، وهذا ممكن، لأن هناك الكثير من الدساتير التي أعدت من فترة من دستوريين وحقوقيين فليختاروا أفضلها ولتصُغها اللجنة الدستورية بالطريقة الصحيحة.
٤- إذا كنت صاحب منزل وهذا المنزل قابل للسقوط فهل تقوم بترقيع هذا المنزل ليستمر معك لأشهر أو سنة أم أنك تقوم بهدمه وبنائه مرة أخرى كي يستمر معك لسنوات وسنوات؟
٥- بقولك «نعم» فستعيش على أمل أن يتم بناء دستور جديد، أما بقولك «لا» فستُلزم القوات المسلحة بالبدء فورًا في بناء دستور جديد بعيدًا عن الترقيع.
٦- الآن الدستور يُبنى من الشعب ومن أجل الشعب، أما بعد ٦ أشهر أو أكثر فلا تدري من سيبني الدستور ومن سيقوم بصياغته!
من الواضح أن أصحاب الرأي الأول يستخدمون فزاعة واجب الحرص على الدين والمحافظة على الأمن، وأصحاب الرأي الثاني يستخدمون فزاعة «الإخوان» والحزب الوطني، وأن الأمن لن يستقر الآن في كلتا الحالتين.
لهذا فقد أصبت بالحيرة وقررت أن أترك لنفسي مساحة أخرى للتفكير حتى لا يأثر أحد بقراري. سأعطي لنفسي مساحة أكون فيها قد رتبت الأوراق أمامي..
والآن سأفكر من جديد في كل ما كتبت لأخرج برأي واحد، وحتى أصل إلى قرار، أطالب القوات المسلحة بإضافة خانة للتصويت بـ«ربما» حتى أتمكن من الإدلاء بصوتي.. لأني ما زلت مصرًّا على أن أنزل يوم السبت لأصوت بـ«ربما».

بين الساسة والمُسيسين

ما أشبه الليلة بالبارحة، وكم هو غريب هذا التاريخ الذي يُعيد نفسه دومًا بأشخاص مختلفة، وكأن الحياة ما هي إلا مسرح يلعب من يلعب فيه دور البطولة ويلعب من يلعب فيه دور «السَّنِّيد» ويقف الجمهور ليصفق كالعادة، وربما ظُلم الكثير من الكومبارس، فلم يحظوا بوافر من النجومية.

ليلة الخامس والعشرين وحينما تحدثت إلى المقربين مني عن وجوب النزول والخروج من أجل أن نحصل على حريتنا، ولن يكون هناك شيء أسوأ مما نحن فيه الآن، وساعتها وبحق كنت أنا وقلة من أصدقائي وحدنا نستميت في الدفاع عن من هم في التحرير يوم الخامس والعشرين، كان الكلام عن أننا فئة قليلة وقلة صحيح، لم يكن أحد يحلم بما حققناه، ولكن كان هناك هدف وغاية نسعى إليهما ويحققان ما نريد، ليعلم الجميع أننا أصحاب الحق من البداية.

فما أشبه الأمس باليوم، حينما يقف كل علماء الدين على المنابر ليستغلوا عاطفة الدين ويلعبوا على وتر التعاطف والحب الفطري للدين، ليدفعوا الناس بالتصويت على التعديلات بـ«نعم» من أجل الحفاظ على الدين ومن أجل الاستقرار. فاليوم وبحق وبعد أن خرجت من المسجد استشعرت بأننا قلة لأن الكثير سينجرفون وراء كلام دعاة المنابر، ويقولون نعم سمعًا وطاعة لكلامهم، وأنهم هم أهل الثقة، وازدت يقينا أني في الطريق الصحيح، فهم سيحاربونك كالعادة ثم تنتصر.

في البداية أحترم وبشدة الرأي والرأي الآخر ولم أحاول يومًا أن أؤثر على أحد برأيي الخاص، فلقد أصبحنا في حرية ومن حق كل فرد أن يعتنق ما شاء من الفكر، ولكن هناك فرق بين الساسة والمُسيَّسين، فالساسة هم من يضعون كلا الرأيين بالمميزات والعيوب ثم يحكمون على الأفضل، لا من ينصاعون لرأي الجماعة وفقط، أو رأي أحد يمليه عليهم حتى وإن كان الرمز رمزًا دينيًّا، فـ«الإخوان» والسلفيون اجتمعوا على قول «نعم» دون أن يتركوا فرصة لمناصريهم أن يحكِّموا عقولهم في الحكم، ولكن هكذا أراد

مكتب الإرشاد وهكذا أراد مشايخ السلفيين (مع احترامي لهم) فلو أنصفوا لفعلوا مثل شباب الثورة وشباب الائتلاف حينما قرروا أن يتركوا الأمر لحرية الرأي والتعبير وألا يصدروا بيانًا بموقف معين، فهؤلاء حقًّا من يعرفون معاني الديمقراطية الحقة، أما من ينتظرون رأي الساسة ليقوموا هم بدور المُسيّسين لينصاعوا للكلام دون أدنى اقتناع أو مناقشة، فأنت ستصوّت بـ«نعم» من أجل المحافظة على الدين ومن أجل إعادة الأمن والأمان «هو كده»، فهلا أتعبوا أنفسهم وشرحوا للناس تفاصيل التعديلات وتركوا لهم حرية الرأي والتعبير.

ولكن المواجهة هنا بحق غير شريفه؛ أن تضع الدين في كفة وأن تصوت بـ«لا» في كفة لدرجة أن يجرِّح بعض الأئمة في من سيقولون «لا» وأنهم يريدون أن ينالوا من الدين!! بل وربما أصدر البعض حكمًا فقهيًّا بوجوب التصويت بـ«لا». فبعد أن كنت فرحًا بحالة الحرية التي نعيشها سرعان ما صدمت من حالة الحكر الفكري التي صنعها دعاة المنابر. فإن أردت أن تقنعني بـ«نعم» أو «لا» فلتُناقش معي مواد الدستور وما الذي سيحدث بعد «نعم» أو «لا» وأي السناريوهات ستتم في الحالتين، ثم بعدها دعني أحكم.

سأرفع القبعة لمن يقول «نعم» عن اقتناع ولمن سيقول «لا» عن اقتناع، أما المُسيَّسين الذين يسيرون وراء كل صوت عالٍ ووراء عاطفتهم، فرجاءً ارجعوا للخلف، فمصر تتقدم إلى الأمام، ولا تريد مثلكم أن يعطل المسير.

ومن يعلنون أنفسهم دعاة باسم الشعب وبأنهم يستطيعون أن يجمعوه تحت شعار واحد، وأنهم هم الساسة وهم وحدهم من يسيطرون على الشعب، فهؤلاء – عفوًا - لقد نفد رصيدكم.

ما زلت على أمل أن تحظى تلك التجربة بالكثير من التعليم، وأن تكون تجربة مهمة للديمقراطية والنزاهة، لنبتعد عن التخوين و«الأجندات»، ولنجعلها منافسة سياسية فكرية شريفة، والصندوق هو الفيصل بيننا. وسنحترم رأي الأغلبية، ولن يكون للاعتراضات وجود ما دام الصندوق هو الفيصل والحكم.

نعم.. للاستفتاء

لقد مرت مصر بمرحلة لم نكن نراها سوى في أحلامنا، أن تحدث انتخابات لا أحد يعرف نتيجتها مسبقًا، انتخابات نترك نتيجتها للقدر لا لتلاعب الأيادي، انتخابات يشاهدها المواطن محمد حسني مبارك وحاشيته ولا يعرفون - لأول مرة - النتيجة مسبقًا، ولو سألتني عن انتخابات حرة نزيهة بهذه الطريقة فسأقول لك نعم رأيتها بعيني، ولكني رأيتها في أحلامي، فقط حلمنا بها، أو ربما رأيتها في إحدى الدول الأوروبية، وأتذكر حينها كنت أمصمص شفتي وأقول «يا ترى هييجي اليوم اللي يحصل عندنا كده؟» والحمد لله أن مد في أعمارنا حتى رأيناها.

«نعم» أو «لا».. «مع» أو «ضد».. لقد مر التصويت (الاستفتاء) على الدستور بكل ديمقراطية وبكل شفافية وانسيابية، وعلى الرغم من بعض التجاوزات البسيطة في ما يتعلق بالنواحي الدعائية التي تمثلت في ترك الجيش الدعاية للتصويت بـ«نعم» على منابر المساجد «واللعب على وتر الدين» قبل التصويت بيوم واحد في الوقت الذي كان قد أعلن فيه الجيش عدم السماح بتناول أمر الاستفتاء قبل الاستفتاء بيوم، وكذلك ترك من يدعون لـ«نعم» أو «لا» على حد السواء خارج اللجان، على الرغم من أن هذا ممنوع أيضًا، فإن الاستفتاء في المُجمل كان الأفضل في تاريخ مصر على الإطلاق، وهو الخطوة الأولى نحو الديمقراطية، تلك الخطوة التي تشعر كل مواطن بالأمان؛ بأن صوته سيصل كما قاله، لن يُزوَّر ولن يُغيَّر ولن يُبدَّل، فأحس بالأمان وخرج من بيته متمنيًا الأمان والاستقرار لبلده الذي يعشقه.

لقد انتقل الشعب نقلة كبيرة، وعلى الرغم من السلبيات البسيطة، فإن الإيجابيات وخروج كل الفئات طغت على كل تلك السلبيات، لقد حدث نضج ووعي كبيرين في عقلية المواطن البسيط، وأصبح التصويت جزءًا من حقوقه وواجباته، فما زال طريق الحرية والديمقراطية طويلاً، ولكننا قطعنا خطوة على الطريق الصحيح، سنستمر فيها، لنصل إلى الوعي الثقافي والسياسي المطلوب.

فمن قال «نعم» كمن قال «لا» الاثنان في النهاية يريدان وطنًا يعيشان فيه، وطنًا خاليًا من الفساد والقمع وطالبي السلطة، وطنًا يملأه الشرفاء ومن على استعداد أن يموتوا من أجل ترابه، الاثنان اشتركا معًا في الحلم، الاثنان كان هدفهما واحد، وإن اختلفت الغايات وإن اختلفت الطرق، فكل يسلك الطريق الذي يشاء والذي يريد، المهم أن النهاية واحدة.

الكل الآن ملتزم بما أسفر عنه الصندوق، وبدأ وقت العمل، لنرمي ما فات خلف ظهورنا، ونبدأ لنبني ونعمّر، ولندع المطالب الفئوية والشخصية الآن جانبًا، فمصر أهم من أي شيء، لنتحد ولا نتفرق، ولنصمد في وجه الفساد ومن أجل إعادة البناء.

رجاءً ليصمت الجميع.. الشعب يتكلم..

تحيا مصر..

مصر.. إلى أين؟!

بعد قيام الثورة الطاهرة، وبعد أن روي الوطن بدماء الشهداء، وبعد أن تنحى الرئيس السابق، حتى وجدنا الثورة المضادة تنطلق بكل شراسة، وبعد أن فطن المصريون للعبة والتفوا حول المقاومة الباسلة لتلك الثورة، حتى وجدنا ثورة أكبر، وأن اللعبة تتسع أكثر وأكثر، وأن الحلقة المفرغة ما زالت تحمل بداخلها الكثير من الألغاز..

فبعد أن نجح التيار الديني بكامله في اللعب على وتر الدين، سرعان ما دب الخلاف والانقسام بين الشعب حول «نعم» و«لا»، وتتجلى عظمة الشعب أكثر في النهوض السريع من هذا الفخ، وعلى الرغم من عظم الخسارة، فالخسارة كانت فادحة بتمرير الدستور المرقع، فإن الشعب أيد حالة الديمقراطية التي شهدتها مصر لأول مرة في التاريخ الحديث، وغض الطرف عن السلبيات والتدخلات والضغوط التي مارسها التيار الديني والإعلام والجيش، لينظر إلى نصف الكوب الممتلئ وليحلم بما هو قادم.

والآن نحن على أعتاب موقف آخر من المواقف الحاسمة التي تشهدها الثورة منذ يومها الأول، فالساحة الآن لا تتحدث سوى عن الجيش ومدى جدوى قراراته الأخيرة، وهل هو فعلاً لا يزال مع الشعب؟! ولمَ يسكت إذًا على الإسراع بمحاكمة الرئيس؟ ولماذا لم يقدم زكريا عزمي وصفوت الشريف وفتحي سرور للمحاكمة وجرائمهم تملأ الآفاق لكل صاحب بصيرة؟! وما صحة ما يقال عن تعرض بعض الفتيات للتعذيب على يد الجيش؟ ولماذا تعمد الجيش فض أحد الاعتصامات بالقوة؟ وهل الغرض من تجريم الاعتصامات هو إيجاد مخرج قانوني لتجاوزاته؟! وما صحة ما يُردد على أن الرئيس ما زال على اتصال بقيادات المجلس العسكري؟

والكثير من القضايا الخاصة بالمجلس العسكري؟

موقف آخر حول ازدياد القضايا المتورط بها الرئيس السابق مثل اتهامه بقتل السادات، أو بأنه لم يكن قط بطل حرب ولا شيئًا! والشيء الملاحظ بحق هو أنه لا أدلة على صحة هذه الاتهامات، أصبحت أشك أن أي جريمة حدثت في

الثلاثين عامًا التي مضت ستنسب لمبارك!
جدل قائم حول سياسة التخوين واتباع «الأجندات»، فكل تيار يميل إلى تصديق فكرة سرعان ما يتهم التيار الآخر بأنه من أصحاب «الأجندات» والتمويل الخارجي وأصحاب الوجبات السريعة الشهيرة (كنتاكي). وأصبحت سياسة التخوين هي السياسة المتبعة مع كل من يخالفني في الرأي.
دعونا إذًا نعقد اتفاقًا شرفيًّا أو نضع ميثاقًا بيننا، ولنعتبر أنفسنا الشريحة المثقفة في هذا الشعب، هذه الطبقة التي تهتم بالأدب والقراءة وتحصيل الثقافة، فكلنا - بلا استثناء - مهما كانت توجهاتنا نحب هذا البلد من صميم قلوبنا، وكلنا - وإن اختلفت الطرق - نسعى لخدمته، وبالتأكيد هذا الوطن هو أغلى شيء نمتلكه، لذا فدعونا نمضي في اتفاقنا، لنتفق على ألا ننقل أي معلومة بغير أدلة موثقة، وألا نكون سببًا في ترويج أي إشاعات، وألا نذيع إلا تلك الأخبار المتَحَقق منها من مصادر موثوقة ومعروفة بالنزاهة ومشهود لها بتاريخ مشرف، لا نتخذ سياسة «مع» أو «ضد»، ولكن نحن مع الحق ومع المستندات.. سندافع بكل شراسة عن الثورة وسنمحق أي محاولة للثورة المضادة، وسنفدي هذا الوطن بأرواحنا، ولكن المهم أن نجعله يسير في الطريق الصحيح، ولن نسهم في أن نأخذ بيده إلى متاهة لا نعرف أولها من آخرها، لنعمل ونجتهد ونقاوم.
تحيا مصر..

مفترق طرق

بين الثورة والثورة المضادة ومحاولة تغيير الشعب بالكامل، أصبحنا على مفترق طرق، فإما أن نمضي في الطريق الصحيح وإما أن يسقط الجميع بلا أدنى رحمة، وساعتها ستحدث انتكاسة بكل معنى الكلمة.

ففي محاولات مستميتة لردع الثورة المضادة ولإنجاح الثورة الطاهرة، تجد مع كل يوم أزمة جديدة تظهر لتسد الأفق، وتعكر صفو فرحتنا، ولكن ما يجب أن نعترف به أن الأزمة الأكبر هي أزمة شعب وأزمة أناس يتلاعبون على أكتاف الثورة.

فلنبدأ من موقف الاستفتاء على الدستور وسيتضح لك جليًا في البداية اللعب على وتر الدين، وأن «نعم» يعني الإسلام ولا تعني العلمانية! وهنا ظهر شعب أغلبه شارك عن خوف على الدين، لا عن قدرة وحنكة على التفريق بين النفيس والرث، ليس الشعب هو من حرك عقله ليصوت في النهاية بـ«نعم» أو «لا»، وكذلك الأمر لمن ضغطوا على الناس ليصوتوا بـ«لا»، فالفئتان أجرموا وإن اختلفت المبررات، فلقد كانت الأولى لقاءات ونقاشات تفرز للمتلقي رأيًا خاصًا به.

وبعد التصويت وظهور نتيجة شفافة تقول «نعم» عمد الجيش إلى تطبيق «لا» في حلوله، وهو الأمر المثير للحيرة!!

وفي هذا المفترق ستبصر شعبًا لم يتقدم بعد منذ أيام الثورة في حياته، فلقد كان التغيير ليوم أو يومين، فستبصر الآن أكبر نسبة حوادث للطرق، فلا أحد يحترم المرور ولا أحد يعيره انتباهًا، فلقد فقد العامة مفهوم الحرية وتحول إلى فوضى، وستبصر هذا جليًا في مباراة الزمالك والأفريقي التونسي، وحالة الفوضى في غياب الأمن من دخول لـ«الشماريخ» في البداية، ثم بعدها نزول الجماهير إلى أرض الملعب، ورجاءً لا تخبرني بأن هؤلاء قلة مندسة، أو أنهم هبطوا علينا من السماء، أو أنهم ينتمون إلى بلطجية الحزب الوطني، ورجاء آخر لا تنسبهم إلى انتماء بعينه (زملكاوية) فهم في النهاية مصريون، ومن باب الرأي الآخر دعنا نفترض فرضًا جدلاً بوجود القلة المدنسة من

البلطجية التي أثارت الجماهير، فهل قيام بقية الجماهير بالتصرف نفسه المشين ليس دليلاً على الفوضوية التي نعيشها وعدم التمييز بين مفهومي الحرية والفوضى؟!

فهذه حالة فوضى تشهدها البلاد، نعيش معها في عزلة بالثورة والثورة المضادة، وأهملنا - مع سبق الإصرار والترصد - مهمة تأهيل الشعب وتغييره بالكامل، إنها رواسب أعوام مضت في قهر وقمع واستوطنت فينا الأمراض.

فدعونا نستفِق قبل أن نستيقظ في كل يوم على كارثة تصدم ثورتنا، فلقد عشنا في وهم أن الثورة غيرت الجميع، ولكن الثورة لم تغير - وبحق - أكثر من الثمانية ملايين الذين شاركوا فيها، فقد بقي العبء الأكبر لتغيير الشعب وتغيير ثقافة ترسخت فينا منذ ثورة يوليو ١٩٥٢ وحتى ٢٥ يناير، فالحقيقة المرة أننا نعيش في وادٍ والمواطن البسيط يعيش في وادٍ آخر، إن طلباته وأحلامه أبسط مما نحاول نحن، إنه لا يهتم بكون الجيش يحمي الرئيس السابق أم لا، ولكنه سيهتم بوقفة احتجاجية لترفع من مستواه الاجتماعي، وإذا ما حدثته عن أن يتنازل عن مصلحته الخاصة مؤقتًا، فسيتهمك بأنك لا تعرف شيئًا عن الدنيا ولا تدري شيئًا عن التزاماته.

إن المسئولية الأكبر والثورة الأكبر في هذه الفترة هي محاولة تغيير ثقافة شعب بأكمله، فلا تجعلونا ننشغل بالثورة والثورة المضادة عن الشعب نفسه، حتى لا نصدم في كل يوم، ونتحول بالفعل مع الأيام إلى قلة مندسة.

الشعب.. إلى أين؟!

كل يوم تطالع الأخبار تجد كمًّا لا نهائيًّا من المعلومات، سواء تلك التي تتكلم عن جرائم النظام السابق، أو عن خطوات جديدة لبراثن النظام، وغالبًا ما تجد بعدها برامج «التوك شو» لتفتيت كل الأخبار ولإيجاد جميع التفاصيل، وتجد تفاصيل من نوعية «هو الوزير لابس ترنج ولا لابس لبس السجن؟!» و«يا ترى فعلاً هما معاهم موبايلات في السجن ولا لأ؟».. تجد تفاصيل عجيبة تشغل الرأي العام وكأنها قضايا قومية تستحق أن تُذكر في جميع الأخبار، ثم تفاجأ بعدها بمن يخرج علينا لينكر صحتها وأنه لا مجال للتفريق، فالجميع مواطنون على أرض هذا الوطن.

فبداية من «الراجل اللي ورا عمر سليمان»، ومرورًا بـ«اللي ورا القذافي»، ونهاية بـ«الراجل أبو جلابية»، انشغل الشعب بتفاهات، أعطت الفرصة للآخرين ليتحكموا في مجريات الأمـور، ولعل أكبر دليل على ذلك هو الاستفتاء، حينما لُعب على وتر الدين، استجاب البسطاء من الناس ومن دون أدنى تفكير، معتمدين على رموزهم فاتبعوهم دون أدنى تفكير أو تحليل.

نحن نعيش فترة عصيبة بكل المقاييس؛ فترة انشغلنا فيها بأشياء بسيطة عن مهام عظيمة، فالأولوية الآن وبلا أدنى منازع لشيئين اثنين: الأول تغيير ثقافة شعب بأكمله، تلك الثقافة التي ترسخت بداخله طوال ثلاثين عامًا، بل دعونا نكون أكثر دقة ونقول ثقافة امتدت لأكثر من ستين عامًا منذ ثورة ٢٣ يوليو، وهذه مهمة تقع عاتق جميع المثقفين من سياسيين واقتصاديين وعلماء ومفكرين وأدباء، لينزلوا من أبراجهم العالية ويذهبوا هم إلى البسطاء في كل مكان، في العشوائيات، في القرى، في المدن الصغيرة.. إنها مهمة قومية ذات طابع خاص لا تحتاج إلا لمن يخافون على هذا البلد ويحرصون عليه، ولتكن تلك نيتهم ومصدر عزيمتهم «في حب مصر» ليس من أجل مصلحة خاصة ليكون وزيرًا أو لأنه ينتوي الترشح للرئاسة، بل لأنها مهمة قومية في حب مصر.

وهذه الفترة أيضًا لا تحتاج إلى المتغطرسين أو المتكبرين ممن يعيشون

في أبراجهم العالية ويرفضون مخاطبة البسطاء والعامة، لكنها تحتاج إلى من يصلون إلى كل الناس بعيدًا عن وسائل الإعلام المعتادة كالتليفزيون أو الجرائد، ولكن تحتاج إلى النزول إلى أرض الواقع والنزول وسط الناس ومخاطبتهم وجهًا لوجه.

وقبل هذه الخطوة تحتاج الفئة المثقفة والملمة بأحوال البلاد إلى ترسيخ ثقافة خاصة بها، وهي ثقافة أننا نستطيع أن نخدم البلد من أي مكان، فلستُ في حاجة لأن أكون رئيسًا أو وزيرًا لكي أستطيع خدمة وطني، ولكني سأخدمه مهما كان حجمي ووظيفتي، كل يخدم بخبراته وفي مجاله.

الاتجاه الثاني مع تغيير الثقافة هو اتجاه الإصلاح الاقتصادي، فنحن يا سادة بصدد أزمة اقتصادية طاحنة، تحتاج إلى تكاتف طوائف الشعب غنيها وفقيرها، تحتاج إلى فهم أن الثورة المضادة سوف تنتقل إلى أزمة اقتصاد وأزمة مشروعات تنموية مختلف عليها، كل يسعى لتأييد رأيه وإثبات أنه على حق فقط، دون تخطيط أو تنسيق من الجميع للخروج علينا بأفضل حل، على أمل أن لا يستمر الخلاف على طريق الإصلاح الاقتصادي حتى نصل إلى الوقت الذي لا نجد فيها أي سلع تموينية متاحة، أو أموالاً للصرف على أوجه إنفاق الدولة، فجزء من الوعي والثقيف هو معرفة كيف نتعامل مع أزمتنا الاقتصادية ومواجهة هذا الغول الذي قد يفسد علينا ثورتنا الطاهرة.

إن الشعب بالفعل حتى هذه اللحظة يعيش على أمل التغيير، وأن القادم سيكون أجمل لأبنائهم، فيترقبون بقليل من الخوف سرعان ما يزول بعودة الأمن والأمان، فالشعب يريد أن يعرف ما الذي سيحدث وأين الطريق، ومن سيحكم مصر وإلى أين يسير؟ وإلى أين يتجه؟! فالطريق ما زال بالنسبة له غير واضح المعالم، وربما السبب نفسه في عدم الوضوح هذا حينما حيرناه وأتعبناه معنا في تفاهات جعلنا منها قضايا قومية وسياسية. فالشعب – وبحق - يريد أن يعرف الآن إلى أين «الشعب يريد معرفة إيه النظام؟!».

الشعب.. إلى أين؟!

كل يوم تطالع الأخبار تجد كمًّا لا نهائيًّا من المعلومات، سواء تلك التي تتكلم عن جرائم النظام السابق، أو عن خطوات جديدة لبراثن النظام، وغالبًا ما تجد بعدها برامج «التوك شو» لتفتيت كل الأخبار ولإيجاد جميع التفاصيل، وتجد تفاصيل من نوعية «هو الوزير لابس ترنج ولا لابس لبس السجن؟!» و«يا ترى فعلاً هما معاهم موبايلات في السجن ولا لأ؟».. تجد تفاصيل عجيبة تشغل الرأي العام وكأنها قضايا قومية تستحق أن تُذكر في جميع الأخبار، ثم تفاجأ بعدها بمن يخرج علينا لينكر صحتها وأنه لا مجال للتفريق، فالجميع مواطنون على أرض هذا الوطن.

فبداية من «الراجل اللي ورا عمر سليمان»، ومرورًا بـ«اللي ورا القذافي»، ونهاية بـ«الراجل أبو جلابية»، انشغل الشعب بتفاهات، أعطت الفرصة للآخرين ليتحكموا في مجريات الأمـور، ولعل أكبر دليل على ذلك هو الاستفتاء، حينما لُعب على وتر الدين، استجاب البسطاء من الناس ومن دون أدنى تفكير، معتمدين على رموزهم فاتبعوهم دون أدنى تفكير أو تحليل.

نحن نعيش فترة عصيبة بكل المقاييس؛ فترة انشغلنا فيها بأشياء بسيطة عن مهام عظيمة، فالأولوية الآن وبلا أدنى منازع لشيئين اثنين: الأول تغيير ثقافة شعب بأكمله، تلك الثقافة التي ترسخت بداخله طوال ثلاثين عامًا، بل دعونا نكون أكثر دقة ونقول ثقافة امتدت لأكثر من ستين عامًا منذ ثورة ٢٣ يوليو، وهذه مهمة تقع عاتق جميع المثقفين من سياسيين واقتصاديين وعلماء ومفكرين وأدباء، لينزلوا من أبراجهم العالية ويذهبوا هم إلى البسطاء في كل مكان، في العشوائيات، في القرى، في المدن الصغيرة.. إنها مهمة قومية ذات طابع خاص لا تحتاج إلا لمن يخافون على هذا البلد ويحرصون عليه، ولتكن تلك نيتهم ومصدر عزيمتهم «في حب مصر» ليس من أجل مصلحة خاصة ليكون وزيرًا أو لأنه ينتوي الترشح للرئاسة، بل لأنها مهمة قومية في حب مصر.

وهذه الفترة أيضًا لا تحتاج إلى المتغطرسين أو المتكبرين ممن يعيشون

في أبراجهم العالية ويرفضون مخاطبة البسطاء والعامة، لكنها تحتاج إلى من يصلون إلى كل الناس بعيدًا عن وسائل الإعلام المعتادة كالتليفزيون أو الجرائد، ولكن تحتاج إلى النزول إلى أرض الواقع والنزول وسط الناس ومخاطبتهم وجهًا لوجه.

وقبل هذه الخطوة تحتاج الفئة المثقفة والملمة بأحوال البلاد إلى ترسيخ ثقافة خاصة بها، وهي ثقافة أننا نستطيع أن نخدم البلد من أي مكان، فلستُ في حاجة لأن أكون رئيسًا أو وزيرًا لكي أستطيع خدمة وطني، ولكني سأخدمه مهما كان حجمي ووظيفتي، كل يخدم بخبراته وفي مجاله.

الاتجاه الثاني مع تغيير الثقافة هو اتجاه الإصلاح الاقتصادي، فنحن يا سادة بصدد أزمة اقتصادية طاحنة، تحتاج إلى تكاتف طوائف الشعب غنيها وفقيرها، تحتاج إلى فهم أن الثورة المضادة سوف تنتقل إلى أزمة اقتصاد وأزمة مشروعات تنموية مختلف عليها، كل يسعى لتأييد رأيه وإثبات أنه على حق فقط، دون تخطيط أو تنسيق من الجميع للخروج علينا بأفضل حل، على أمل أن لا يستمر الخلاف على طريق الإصلاح الاقتصادي حتى نصل إلى الوقت الذي لا نجد فيها أي سلع تموينية متاحة، أو أموالاً للصرف على أوجه إنفاق الدولة، فجزء من الوعي والثقيف هو معرفة كيف نتعامل مع أزمتنا الاقتصادية ومواجهة هذا الغول الذي قد يفسد علينا ثورتنا الطاهرة.

إن الشعب بالفعل حتى هذه اللحظة يعيش على أمل التغيير، وأن القادم سيكون أجمل لأبنائهم، فيترقبون بقليل من الخوف سرعان ما يزول بعودة الأمن والأمان، فالشعب يريد أن يعرف ما الذي سيحدث وأين الطريق، ومن سيحكم مصر وإلى أين يسير؟ وإلى أين يتجه؟! فالطريق ما زال بالنسبة له غير واضح المعالم، وربما السبب نفسه في عدم الوضوح هذا حينما حيرناه وأتعبناه معنا في تفاهات جعلنا منها قضايا قومية وسياسية. فالشعب – وبحق - يريد أن يعرف الآن إلى أين «الشعب يريد معرفة إيه النظام؟!».

وهم التغيير

وهم التغيير! وحقيقة التغيير! دعنا إذًا من تلك الكلمات الكبيرة التي تحتاج إلى كتب لنوضح فيها مفهوم التغيير وكيف يكون، ولنتجول في حياة المصريين بعد أن أحدثوا ثورة صفَّق لها التاريخ وانحنى أمامها الجميع احترامًا وتقديرًا. فهل تغيّر المصريون؟ وهل غيَّرتهم الثورة فعلاً؟! وهل نحن الآن على الطريق الصحيح للتغيير والتقدم لنأخذ دورًا غاب عنا منذ أمد بعيد، لتصبح مصر وبحق أكبر بلاد الشرق، ويأخذ المصري مكانته ويسترد كرامته في سائر دول العالم؟

في البداية يبدو أن حمَّى الثورة التي استمرت مع الشعب لأيام أو لشهور وسرعان ما انطفأت، لم تصب الشعب وحده، بل أصابت كل دول العالم تجاه مصر، فبعد أن كان يعامل المصريون في أثناء الثورة وبعدها بأيام في جميع دول العالم على أنهم من كبار الزوار وأنه شعب كبير يستحق كل الاحترام والتقدير، لم تستمر تلك المعاملة سوى لشهر أو اثنين ثم عادت كل الدول إلى سابق عهدها معنا، ومعاملة المواطن المصري على أنه مواطن من الدرجة الثالثة.

خدعوك فقالوا إن الشعب تغيّر، لا يا سيدي لا تصدق تلك الادعاءات فهذا كذب وافتراء على المصريين، فكل التغيير الذي حدث لنا هو زيادة في كمية الأغاني الوطنية مع زيادة طفيفة في حجم الأعلام المصرية ونزع لكل صور الرئيس المخلوع من أماكن وجودها (باستثناء القوات المسلحة)، ونزع اسم الرئيس المخلوع من أي مكان أو منشأة تحمل اسمه، وكذلك زادت من شهرة الكثيرين الذين ارتبط ذكر أسمائهم بالثورة، سواء كانوا شعراء أو سياسيين أو إعلاميين، هذا بالضبط يا سيدي هو كل التغيير الذي حدث..

لذا دعني آخذ بيديك إلى إحدى إشارات المرور لتنظر بعيني رأسك انتهاك البعض، ودعني أقل «البعض» أملاً في أن لا أصيبك بالإحباط، سترى هؤلاء البعض وهم ينتهكون حرمة الإشارة، وإذا ما حاول ضابط المرور التحدث سيقال له: «اسكت يا ابن الـ... إنتوا ما كفَّاكوش اللي عملتوه فينا طول

السنين اللي فاتت؟».. وبهذه الإهانة سيحمد الضابط الله عز وجل أن من تكلم اكتفى بالسباب ولم يقرر أن «يدي له مطوتين في جنبه»، فهو يريد أن يرجع إلى أولاده بسلام ولتذهب الإشارة إلى الجحيم..

فالشعب يا سيدي يرفض وبشدة، ويقسم لك على هذا الرفض التام والقاطع، أن يكون ابن الرئيس رئيسًا، ولكنهم على الوجه الآخر يحاولون بذل جهدهم لتعيين أبنائهم كأبناء عاملين في أماكنهم في الشركات الحكومية، وكذلك يرضون أن يكون ابن الدكتور دكتورًا، وابن المهندس مهندسًا، وابن الأستاذ الجامعي أستاذًا جامعيًّا، وابن النجار نجارًا، وابن اللص لصًّا، وابن تاجر المخدرات تاجر مخدرات..! فالمصالح الخاصة تتكلم وبشدة!

ثلاثة شهور انتهت ولم أجد إصلاحًا اقتصاديًّا حقيقيًّا بدأ يتحقق، إصلاحًا اقتصاديًّا يجعلنا في يوم من الأيام نصبح مثل اليابان، التي ضربها الزلزال منذ شهر لتجعلنا كلنا نعلن أنها لن تقوم لها قائمة، زلزال وسيول وانفجار مفاعل نووي، لقد انهارت اليابان إذًا وانخفض إنتاج كل الشركات بها إلى أقل من ثلث الإنتاج الكلي، وبعدها بشهر تفاجئنا اليابان بعودة إنتاج كبرى الشركات إلى ١٠٠٪، أي معجزة تلك؟! وأي أمة تلك التي تعود لتنهض من جديد في غضون شهر؟! ولماذا كلما تحدثنا عن الإصلاح الاقتصادي في مصر فاجأنا الجميع بأننا نحتاج إلى سنوات لنستفيق من الفترة السابقة، وأن فترة الثورة قد أدت إلى انخفاض حاد في البورصة، وكأن فترة ما قبل الثورة ما شاء الله كان يصاحبها ازدهار عالمي في البورصة المصرية؟!

إن أمة تجلس طوال عمرها لتتغنى بثوراتها وحروبها، أمة لا تجني سوى صناعة الطغاة والديكتاتوريين، فلقد اعتادت على صناعة أبطال من ورق لتتغنى بهم، على الرغم من فشل أبطالها وتساقطهم واحدًا تلو الآخر؛ بداية من الرئيس عبد الناصر ونهاية بالرئيس المخلوع مبارك، فبدأوا بالتغني بثورة ٢٣ يوليو، وبعدها غنوا لحرب أكتوبر، واليوم يغنون لثورة الخامس والعشرين من يناير، يبدو إذًا «إننا هنقضيها أغاني» وسنستمر في صناعة

أبطال من ورق بعد كل نجاح حتى نمسحه أو ندمره، بل دعني أكن أكثر قسوة وأقل لك ننسفه، فأمة مثل هذه الأمة متى ستبدأ العمل، دعني إذًا أختلس جملة «المأسوف على عمره» معمر القذافي، «دقت ساعة العمل.. دقت ساعة العمل.. من أنتم من أنتم؟» لماذا لم نتغير تغيرًا يليق بثورتنا الطاهرة؟!!

وَهْمُ المثقفين

قال لي صديقي يومًا الثورة لم تغير الشعب، ولم تغير إلا في القلة القليلة جدًّا، فأجبته بأن الشعوب لا تتغير بين ليلة وضحاها، وأننا يجب أن نصبر ونحاول ونجد ونجتهد آملين في الوصول إلى التغيير الذي حلمنا به ونزلنا الشوارع من أجله. قال لي: ولكن للأسف إن استمر الحال أكثر وتأخر التغيير قد يضيع الحلم، هذا الحلم الذي دفع ثمنه شهداؤنا، إنهم حتى الآن لم يقدروا تلك الدماء وغير مدركين ما وصلوا إليه، كل ما يعرفونه هو أن الرئيس تنحى وأن هناك مجموعة من المثقفين مع المجلس العسكري يحاولون توفير رئيس مناسب!! ومطلوب منا الآن أن نركز في عملنا «الريس مش هينفعنا.. عايزين نأكل عيالنا». قلت له: معك حق.. الشعب منشغل بلقمة العيش أكثر من أي شيء، وهذه مهمتنا؛ محاولة التغيير والتوعية قبل أي شيء.

هذا في حال الشعب، أما في حال الفئة المثقفة نفسها، فخدعوك وقالوا الفئة المثقفة، «ودول اللي فاهمين كل حاجة»، فهذه أكذوبة أخرى، فلا توجد فئة مثقفة تبدأ عملها بالحَجْرِ على جميع حريات الآخرين، وإعلان أنهم هم من صنعوا الثورة؛ إذًا فهُم أقدر الناس على تيسير الأمور وعلى فهم لعبة السياسة، فلا تضع نفسك حكرًا على أفكاري وتصرفاتي، ثم تقول: «أنا أعرف مصلحتك أكتر منك»!! فلا أحد يثور ليطالب بحقه في التعبير والرأي والعدالة، ثم حينما يصبح هو في موقف الأقوى يمنع منها الآخرين، فأي ثقافة تلك وأي وهم نعيش؟!

ثم بعد كل هذا تأتي وتحدثني عن القلة المثقفة ممن يحملون هم البلد ويحملون مستقبلاً، الله وحده يعلم إلى أين نسير وإلى أين نتجه. إن التلاعب وحشر اسم الثورة في كل شيء، يشبه التلاعب على وتر الدين، فحينما تريد أن تغلق الموضوع في بدايته أو أي شيء يحتمل الحوار والفكر والنقاش تطرح رأيًا دينيًّا لتعلن أن الحوار انتهى قبل أن يبدأ. إني أريدك أن تكلمني، أن تصل، أن تذهب إلى البسطاء، أن تحركهم، أن تسهم في توعيتهم، لا تحدثني عن أن أنتخب فلانًا، وأنا لا أعلم شيئًا أصلاً عن مهام رئيس الجمهورية ولا ماذا

يفعل، وهل يجوز أن يكون شخصًا عاديًا؟ أم أنه لا بد أن يكون بطل حرب أو سلام أو حائزًا على جائزة كبرى في العلوم؟ فهمني ماذا أفعل ولا تحجر على فكري باسم أنت تثق فيه، علمني كيف أختار عضو مجلس الشعب، ولا تحجر علي باسم أنت ترتاح إليه، توصل معي إلى نقاط اتفاق، كيف أهتم بأحوال بلدي وفي الوقت نفسه أوفر لأولادي ما يشاءون، علمني وأفهمني ماذا تعني الثقافة وكيف أتعامل اقتصاديًا وسياسيًا وفكريًا، لا تقل لي: «هو كده وخلاص» ولا تشغل عقلي، فأنا لا أحتاج إليك، أنت من تحتاجني، فأنا الشعب كله، أما أنت فنسبة لا تذكر، فلا تعش هذا الوهم علي وتعلن أنك من الفئة المثقفة ثم تتركني أسيرًا في مشكلاتي وتفكيري وجهلي، فهذه هي مهمة الفئة المثقفة الحقيقية، فدعك من وهم المثقفين ووهم الفئة المثقفة..

على أكتاف الثورة

على أكتاف الثورة يتلاعب الجميع، بداية من الإعلاميين والصحفيين والكتاب المتحولين، ونهاية بالكوادر السياسية التي تتصنع دور البطولة على حساب سرد جرائم النظام البائد، فعلى أكتاف الثورة ستجد جميع التيارات تتحدث من «إخوان» وسلفيين والجماعة الإسلامية وصوفية وعلمانيين ومسيحيين.. حتى إنك في النهاية ستحتار في تكشف من يعملون بحب وبإخلاص من أجل هذا البلد، بالطبع أنا لا أتهم كل هذه الطوائف بالتلاعب، ولكن دائمًا ما يتلاعب البعض فينسبون إلى الكل، غير أن التجربة أثبتت أن في مجتمع الإعلام والصحافة سقط الجميع بلا أدنى رحمة، فلم يشفع لهم تحولهم في ما فعلوه من مداهنة للنظام، ولكن للأسف تعاطف الشعب المصري كعادته، فبين مذيع يذيع أنه كان يضغط عليه من أجهزة النظام السابق ومذيعة خرجت لتبكي بدمعتين حتى نسي الناس كل ما فات وعادت الحياة إلى مجراها الطبيعي.

إن الإعلام قوة جبارة لا يستهان بها، فهو الذي يوجه عامة الناس إلى الوجهة الصحيحة، وسواء حمل هذا الإعلام لونًا معينًا لتيار ديني أو سياسي فهو بالفعل يحرك الناس ويدفعهم دفعًا إلى ما يريدون هم، لذا فلا مكان فيه إلا للشرفاء.

لقد أصبحت الثورة مرتعًا لكل المتوسلين والأفاقين والنصابين، ليتلاعبوا بعقول الناس باسم الثورة وباسم الدفاع عن الثورة والوطن، مستخدمين كل الحيل الممكنة في إيهام البسطاء بأنهم هم أهل الخبرة والعلم والفهم، وأنهم هم من كانوا في التحرير حاملين أرواحهم على أكتافهم، وإن بحثت في سيرتهم فستجدهم لا يمتون للثورة بأي صلة، بل مجرد متمسحين فيها.

وعلى أكتاف الثورة يتلاعب البسطاء وصغار الموظفين باستغلال الأمر للبحث على استفادات مادية ومعنوية وامتيازات لأبنائهم وأسرهم، وهم لا يدركون أنهم يشكلون عبئًا على الثورة فتحولوا من مظلومين إلى متلاعبين على أكتاف الثورة، وهم لا يدركون أن تسرعهم ربما تسبب في قتل أحلامهم وسحقها

سحقًا.

وعلى أكتاف الثورة يتلاعب من شاركوا في الثورة، ليجعلوا الثورة حكرًا عليهم وحدهم، ويقصرونها على «التحرير»، متناسين من قاموا في جميع محافظات مصر، وأشهرها السويس التي ظلت ثمانية عشر يومًا تحت خط النار، كما يقولون، ولم أسمع أحدًا يتكلم عنها، بل وجعلوا الثورة حكرًا خاصًا لهم، محاولين الاستفادة منها بشتى الطرق، والظهور في الإعلام على أنهم الصناع الحقيقيون، فتحولوا من أصحاب إنجاز إلى مستغلي الإنجاز. فكما يقولون الثورة يخطط لها المثقفون وينفذها المغامرون ويسرقها اللصوص..

إن أصحاب الثورة الحقيقيين الذين يعشقون تراب هذا البلد، قد أنهوا مهمة التحرير، فاحتفلوا، ثم بدأوا في العمل؛ لأنهم يدركون جيدًا أن هذا البلد لن ينصلح حاله إلا إذا عمل الجميع، فهذه فترة هدوء لإعادة البناء، ويقف الوطن على قدميه من جديد، إنهم يدركون جيدًا أنهم قبل أن يطالبوا بحقوقهم عليهم أن يقوموا بواجباتهم، وهم لا يزالون يشعرون بأنهم مقصرون في حق هذا الوطن، وما زال أمامهم مهمة عصيبة، وهي إعادة البناء، فمثل هؤلاء كلما قابلت واحدًا منهم، وددت لو قبلت قدميه، فهؤلاء حقًّا من يعرفون معنى وقيمة الثورة، والأهم أنهم يدركون معنى الوطن.

يا معشر تجار الثورة؛ موتوا بغيظكم، فثورتنا الطاهرة لن يكملها سوى الشرفاء.

فن صناعة الديكتاتور

«لويس إيناسيو لولا دا سيلفا».. ومن لا يعرف هذا الرجل، ففي الأول من يناير عام ٢٠٠٣ انتخب رئيسًا للبرازيل وفي الأول من يناير ٢٠١١ وقف الشعب البرازيلي كله لحظات احترام وتقدير وبكاء لهذا الرئيس الذي أصبح رئيسًا سابقًا؛ لأن الدستور البرازيلي ينص على فترتين للولاية فقط، ودا سيلفا نفسه هو من أسهم في وضع هذا الدستور، لذا أصبح الآن احترام الدستور شيئًا مقدسًا لديه، ولكن الشعب يريده ويبكي حرقة لرحيله، ولكن الدستور أهم وأبقى من أي شيء، إننا نعمل من أجل البرازيل، والبرازيل وطن وشعب ولا تختزل في شخص واحد، حتى وإن كان الأسطورة دا سيلفا..

لقد كانت البرازيل في مصاف الدول النامية، ولكنها الآن، وبفضل هذا الرجل، صارت في مصاف الدول المتقدمة، أو دعنا نكن أكثر دقة، إنها في مرحلة دول «النمور»، أي مرحلة وسطية بين الدول المتقدمة والدول النامية، وكل هذا بفضل هذا الرجل الذي عشق وطنه وخدمه حتى النخاع، وهؤلاء هم الأبطال الحقيقيون، من يخدمون ثم يتركون الفرصة لغيرهم ليكملوا المشوار، فالحياة أبدًا لا تقف على أحد مهما كان.

أما نحن في مجتمعاتنا العربية فعلى العكس تمامًا، وقبل أن أكمل المقارنة، أرى سؤالاً يلح في عقلك الآن.. لماذا اخترت البرازيل لأقارن بها ولم أختر أمريكا كنموذج سياسي أو روسيا أو أي دولة أوروبية، فجميع هذه الدول تتمتع بقدر من التطور الاقتصادي، وكذلك النضج السياسي؟ والإجابة؛ لأن البرازيل في كثير من ظروفها مشابهة لمصر، خصوصًا في الفكر الأدبي والثقافي، لذا كانت هي الأقرب، وكذلك لأن التقدم في الدولتين بدأ تقريبًا في وقت مُشابه. لنعد مرة أخرى، ففي مجتمعاتنا العربية، نحن من نحضر العفريت ثم لا نستطيع أن نصرفه.

فبعد أن شارك الضبّاط الأحرار في انقلاب عسكري، أو في ما يسمونها ثورة، في الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢ لتتحول مصر من يد الملك إلى يد الجيش، ثم لنبدأ أول حكايتنا مع الشعب مع رسم البطل، ومن ثم تحويله

إلى ديكتاتور، فنحن – وبحق – نتقن فن صناعة الديكتاتور وبشدة، وكأننا نُصِر في كل عصر وزمان على وجوده بداية من مينا ومرورًا بفرعون ونهاية إلى مبارك، فعلى مدار تاريخنا ونحن نتقن هذه الصناعة جيدًا، ليتحول الرئيس الراحل من بطل ومحرر من الدولة العثمانية إلى ديكتاتور، فنحن نريده في كل شيء، نريده أن لا يرحل أبدًا، وكيف لا فهو بطل الثورة.. إنه بطل، والأبطال لا يموتون بسهولة ولا يصنعون بسهولة.. وحينا يعلن التنحي بعد النكسة تخرج الجموع غاضبة، لا تتنحى، فالشعب يريد الرئيس، وعلى الرغم من السقطة في النكسة فإنه لا مفر، فالشعب يريد! ليرحل الرئيس السابق ويأتي بعده الرئيس محمد أنور السادات.. والشعب يحب الطابع الديني، إذًا فلنُضِف إلى الاسم محمد ليصبح محمد أنور السادات، كانت بداية تعاطف الشعب معه. وفي حروب الاستنزاف استمال قلوب المصريين بنجاحات القوات المسلحة التي طمأنت الشعب على أن رجوع سيناء ممكن، وبدأوا يحلمون بأن الرئيس هو البطل القادم، ومع تعالي لهجات خطاباته، فهو من سيلقي بإسرائيل في عرض البحر وهو من سيعيد الأرض المقدسة.

يكبر البطل في عيون الجميع، لينفذ وعده ويقوم بضربة النصر، ليتحول من بطل إلى رمز ثم إلى ديكتاتور كالعادة، فبخطة الحرب وبالانتصار أصبح الشعب يريد الرئيس السادات رئيسًا له العمر كله، فهم أصبحوا يعشقون هذا الرجل، ولكن الرئيس السادات ولإحساسه أنه مهدد دومًا عين لنا الرئيس السابق محمد حسني مبارك، فهو صاحب الضربة الجوية الأولى، وفي وجود أسماء رنانة بجواره مثل سعد الدين الشاذلي رئيس هيئة العمليات في حرب أكتوبر، واللواء عبد الغني الجمسي كان الاسم الذي لم يحظَ بشهرة الاثنين معًا، هو قائد القوات الجوية، فاختاره، فهو لن يزعجه كثيرًا، فهو لم يتمتع بعد بشهرة الاثنين ولم يعلو صوته مثلهما، ليترك لنا وليضع أول ريشة في رسم الديكتاتور الجديد، الرئيس محمد حسني مبارك، بطل الحرب وصاحب الضربة الجوية الأولى، لتستمر تلك النغمة طوال ثلاثين عامًا، وليتحول

إلى أكبر ديكتاتور، ولتمر مصر في عهده بأحد أسوأ عصورها على الإطلاق، وليمسح تاريخه المشرف في الحرب وما بعدها بممحاة..

نحن لا نعيب على الرؤساء، فجميعهم كان له بلا شك فضل، ولكن ما نعيبه هو صناعة الشعب دومًا الديكتاتور الذي يحكمه بالحديد والنار، وإسهام الشخص نفسه في إيهام الشعب بالبطولة، فليس من المعقول أن يقوم بومدين بثورة في الجزائر فيصبح قابعًا على قلوب الشعب هو وأسرته الحاكمة إلى الآن، وأن يقوم القذافي بثورة فيستمر في الحكم لأكثر من أربعين سنة، وأن تحتل الأسر المالكة في جميع الدول العربية الحكم لمئات السنوات، ليس من المعقول أن تخلصني من عدو أو تنقذني من حكم جائر أو استعمار، لتتحول إلى بطل وبعدها إلى ديكتاتور جديد، فأي ثورة صنعت؟ وعن أي شيء تتحدث؟ فهل نخدم الأوطان حبًّا فيها أم طلبًا للكراسي والمناصب، إن الأوطان تُبنى ببذل الدماء، لا بسفكها حفاظًا على الكراسي.

أدعو الله عز وجل أن لا نسهم من جديد في صنع ديكتاتور وأن نقلع عن هذا الفن الذي أتقناه وبشدة، فأحوالنا لا تتحمل أن نصنع واحدًا جديدًا، أو أن نُلَمِّعَ اسمًا بعينه هذه المرة، لقد انتهى عصر المراهنة على أشخاص بأعينهم؛ لأنه إن حدث فسنمر بفترة أسوأ بآلاف المرات من الفترة السابقة، فالشعب كله يسهم في البناء والتقدم، وليست البطولة حكرًا على أحد.

حفظ الله هذا الوطن، وجعلنا خير أبناء لخير وطن.

الأمن الوطني والأمن القومي

على الرغم من تغيير اسم «أمن الدولة» إلى «جهاز الأمن العام» فإن الجميع ظل على قناعة بأن التسميات فقط هي التي تغيرت، وأن الأسلوب والمنهج والفكر ما زالت كما هي، وأن الأمر لن يتجاوز تغيير الأسماء، واضعين أيديهم على قلوبهم من القادم، وشخصيًّا كنت أتمنى حل هذا الجهاز وتكوينه من جديد بوجود ناس يقدرون معنى الإنسانية، لم يتشربوا الغلظة كسابقيهم، ولكن لا بد من وجوده، فأنا لن أتحمل يومًا أن يقف شيخ على منبر يثير فتنة بين مسلم ومسيحي، ثم لا يحقَق معه بعد نهاية الخطبة، فلا بد أن تتم السيطرة على كثير من الأشياء في وجود جهاز أمني يحترم الحريات وحقوق الإنسان..

لقد انشغلت الحكومة المصرية بكثير من القضايا الخارجية، وانشغلت عما يدور بداخل أراضي الوطن؛ داخل كل حارة وشارع وفي كل قرية، فالجميع بلا استثناء استغلوا حالة الانفلات الأمني لتصفية الحسابات، سواء كانت عائلات كبيرة، أو شخصيات بينهم حوادث قديمة، أو لص يريد أن ينتقم من ضابط، أو سائقي السيارات الأجرة وتصفية حساباتهم مع أمناء شرطة المرور، أو حادثة بين مسلم ومسيحي، كل استغل الانفلات على طريقته الخاصة، حتى النصابون والمرتزقة يلعبون باسم الثورة على البسطاء حتى يحققوا مكاسب مادية، فيكفيك أن تطرق أي باب وتقول لهم إنك من شباب الثورة، أو إن البلد يتغير ونحن نساعد في تغيره، وساعتها ستبيع أي سلعة تريد بيعها أو تسوق لأي منتج، وربما وصلت لأكثر من هذا وقمت ببيع الهواء نفسه.

فالبلاد تشهد حالة غير طبيعية من الانفلات الأمني يشارك فيها بلا أدنى شك فلول النظام السابق، وبعض المرتزقة ممن يتلاعبون بأمن وأمان الناس، والمواطن البسيط يا سيدي لا يريد أن يشعر بأن علاقته مع قطر أو الكويت أو السعودية أو غيرها قد تحسنت، ولكنه يريد أن يشعر بالأمن والأمان؛ لا نريد أن نصل به إلى أن يقول «رحم الله أيام الرئيس السابق فلم نشعر معه يومًا بهذا الفزع، ولعنة الله على شباب الثورة فلقد خربوا البلد وأشعلوا فيه

الفتنة»، لا نريد أن ينجح أصحاب المصالح الخاصة في هذا.
فبداية بمباراة الزمالك والأفريقي التونسي ونزول الجماهير إلى أرض الملعب، ومرورًا بأحداث شارع عبد العزيز وحالة تهريب المساجين التي انتشرت بطريقة مبالغ فيها، ونهاية بالصراع بين المسلمين والمسيحيين بالأمس في منطقة إمبابة أمام كنيستي مارمينا والعذراء، حيث ثبت تورط البلطجية في الأحداث وليست فتنة طائفية كما حاول البعض إيهامنا.
والإعلام يشغل الناس بقضية كاميليا شحاتة وبعض القضايا التافهة التي تبعد كل البعد عما يحتاجه المواطن البسيط في هذه الفترة، فأنا لا يشغلني هل أسلمت كاميليا شحاتة أم لم تسلم لتقوم الدنيا كلها ولا تقعد من أجل قضية واحدة حلت بمجرد ظهورها.
لقد اتضح بما لا يدع مجالا للشك أن هناك أيادي خفية وخارجية تعمل على تحقيق مصالح خاصة وإثارة الفوضى في البلاد، لذا فشخصيًّا أطالب المجلس العسكري ورئيس الوزراء، الدكتور عصام شرف، بجعل أمن وأمان المواطن ومحاولة القضاء على ظاهرة البلطجة، وعمل الشرطة على أكمل وجه، الشاغل الأكبر والمهمة الأكبر، حتى لا نخسر كل المكاسب التي حققناها من الثورة لمجرد الترحم على أيام الأمان التي عشناها في أيام العهد البائد، والضرب بيد من حديد على يد كل بلطجي أو أحد يثبت تورطه في تلك الأحداث، حتى ولو كانت عائلة بأكملها.. ليكون الأمن الوطني والأمن القومي نصب أعين الجميع.
وبقي النصف الآخر؛ الشعب نفسه ليضع الأمن والأمان نصب عينيه ولا يحاول الإسهام في «وقف الحال» أكثر من هذا، فلا مليونية ضد العنصرية ولا مليونية لدعم المجلس العسكري، ولا مليونية لدعم عصام شرف، وليعمل الجميع على عدم خلق أي فرصة للاحتكاك.
حفظ الله مصر وحفظ ثورتنا الطاهرة.

الثورة المصرية الثانية

«الثورة المصرية الثانية ثورة ٢٧ مايو.. إحنا مش ضد الجيش ولا عمرنا هنكون ضد جيش بلادنا اللي هما إخواتي وإخواتك ووالدي ووالدك، لكن إحنا ضد اللي بيحصل دا، دا مكتسبات الثورة اللي رضينا بالقليل منها وبردو مستكترينه علينا، إحنا ضد اللي يسيب الكنيسة تتحرق ويروح يحمي السفارة الإسرائيلية، ضد اللي سايب البلطجية في الشوارع وبيقبض على شباب بيحلم بتحرير فلسطين، ضد الإفراج عن رموز النظام السابق اللي بدأ بفتحي سرور ومرتضى منصور، ضد إن مصابي الثورة مرميين في المستشفيات بدون علاج ومبارك في مستشفى شرم الشيخ، ضد إن ضباط المباحث رجعوا زي ما كانوا، ضد إن ضباط أمن الدولة رجعوا يشتغلوا تاني، ضد الإعلام الحكومي تاني، وآخرها ضد حاجات كتير أوي بتحصل كل يوم، وضد إن ثورتنا تضيع مننا.. هننزل يوم ٢٧ مايو في كل ميادين مصر».

كان هذا هو نص إحدى الدعوات التي وصلتني على الموقع الاجتماعي الأول في العالم الـ«فيس بوك» للمشاركة في تلك الثورة كما يسمونها، وحينما فكرت جيدًا في فحوى الدعوة، قفز سؤال إلى عقلي وسيطر عليه: منذ متى والثورة تحتاج إلى ثورة أخرى لمساندتها؟!

فكرت في الأمر كثيرًا ووجدت بالفعل أننا نحتاج إلى الثورة، ولكن الثورة هذه المرة مختلفة تمامًا، إننا نحتاج إلى ثورة تشمل ثمانية وثمانين مليون مواطن مصري، ثورة تكسر وتحطم فكرًا سيطر علينا لأكثر من خمسين عامًا، فكرًا لم يزرع فينا غير الاستكانة والاستقامة تبعًا لأوامر الرئيس بداية من ثورة يوليو ١٩٥٢ وحتى ثورة ٢٥ يناير، فالثورة هذه المرة تشمل النصف الآخر، إنها تشمل الشعب.

فبداية يا سيدي بفكر عقيم ساعد على إشعال الفتنة بين المسلمين والمسيحيين، وإن تورطت في الأمر قوى وأيادٍ داخلية وخارجية، ولكن يبقى أن هذا التدخل السافر وجد الآلاف من العقول التي تصلح لأن يضع فيها بذرة الفتنة سواء كانت تلك العقول مسلمة أو مسيحية، فالعقل المستعد

لتقبل الفتنة موجود، فبقي الآن سبب لإشعال الفتنة، مع وجود بعض المندسين، لتشتعل الفتنة وتأكل وحدة الوطن..

ومرورًا يا سيدي بمطالب فئوية استمرت منذ أن بدأت الثورة في النجاح وحتى من قبل أن يتنحى الرئيس، حتى امتلأ البلد عويلاً وصراخًا بكل أنواع الفساد، فالموظف الذي لم يحصل على ترقية في موعدها جاء الآن ليعلن اعتصامه، والطبيب الذي تحمل ضعف راتبه لسنوات لم يعد الآن يستطيع أن يصبر ستة أشهر حتى يستتب الأمن في البلاد ويتولى رئيس يتحمل المسئولية، فسارع بإعلان اعتصام مفتوح غير مكترث بالآلاف من المرضى الذين يحتاجون إليه، وكذلك الجامعات لم تَنْجُ من مثل هذا النوع من الاعتصامات، فكل قسم في كلية لا يعجبه رئيس القسم يقوم ضده باعتصام مفتوح حتى يرحل، سيطرت المطالب الفئوية على الجميع، وارتفع شعار «مصلحتك أولاً ولتذهب مصلحة البلد إلى الجحيم»..

ومروًا بحالة مزرية في التعامل مع الشرطة سواء من الشعب للشرطة أو من الشرطة للشعب، فما إن ضاعت هيبة الشرطة حتى وجدنا المئات يتعدون بالضرب والسباب عليهم بسبب أو من دون، حتى إنك لا تجد «عسكري مرور» يجرؤ على تسجيل مخالفة واحدة لأنه إن فعل فربما لن يعود إلى بيته سالمًا، أو لن يعود نهائيًا! وعلى العكس فهناك ضباط ما زالوا يعيشون في الوهم القديم وأنهم «أسياد البلد» كما يدعون، وأنهم مهما كان سيعودون، وأن الشعب لا يصح معه التعامل سوى بالحديد والنار، متناسين كل معاني الآدمية والإنسانية..

ومرورًا بحالة التأهب للجيش ونزول الجيش لأول مرة في التاريخ إلى الشوارع ومطاردته المجرمين، وهذا بلا شك حمل ثقيل على كاهله، فالجيش في المقام الأول مهمته حماية البلاد من الخارج لا من الداخل، فالمسئولية عليه كبيرة..

ومرورًا بإحصائية تقول بأن مصر بها مليوني مسجل خطر ومجرم، فلا تعجب أن تجد في كل شارع وكل حارة وكل بيت لصًا يتربص بك، فعندنا عدد يصلح

لتهديد المواطنين جميعًا، هذا بالإضافة إلى فلول النظام السابق وبلطجيته، ورجاله الذين ما زالوا يعيثون في الأرض فسادًا.

ومرورًا بدعوات تدعو دومًا للنزول إلى الشارع، للنزول كل يوم جمعة، فمرة جمعة «تأكيد مطالب الثورة» ومرة «جمعة تأييد المجلس العسكري» ومرة «جمعة الضغط على المجلس العسكري للإسراع لمحاكمة المسئولين السابقين»، ومرة «جمعة الزحف نحو فلسطين»، حتى تعب المواطن المصري البسيط وخارت قواه من فرط كل هذا المجهود، فهو على قناعة أن الثائر الحق هو من يثور ثم يهدأ ليبني، والثورة منذ يومها الأول وحتى لحظة كتابة هذه السطور ما زالت مشتعلة، لم نترك لأنفسنا فرصة للبناء وإعادة التأهيل، أم أنها إظهار الشجاعة والعنترية فقط، صناعة أبطال من الورق ومن لا شيء، حتى نضع بطلاً في الصورة بأي طريقة!! فأجمل ما في ثورتنا الطاهرة خلوها من بطل بعينه حتى لا نسهم في خلق ديكتاتور جديد يتحكم فينا، وحينما نود محاسبته يقول لنا «أنا صاحب الثورة».

وستبصر يا سيدي انشغالاً صارخًا بقضايا خارجية بعيدة عن الهم الأول وهو إعادة بناء مصر، فليس من المعقول أن تترك رأسك وصدرك عاريين وأنت تحارب في معركة كلها رمي بالسهام، وليس من المعقول أن تؤمِّن بيت جارك وتترك بيتك مفتوح الباب.

وستبصر أيضًا غيابًا للوعي الاقتصادي، فالناس التي تطالب بمطالب فئوية وتسهم في وقوف عجلة الإنتاج، لا تدرك أنها تسهم في حدوث مجاعة ستحدث في خلال ستة أشهر إن لم يستقر الوضع.

وستبصر يا سيدي مرحلة حاسمة قادمة سندخل فيها انتخابات تشريعية ورئاسية، ما زال الشعب نفسه لم يتغير، فالأسماء الرنانة في كثير من الأماكن كما هي، وأسماء العائلات الكبيرة تسيطر، ولغة المادة تتحدث وبكل قوة، ورئيس قادم لا نعرف من هو، غير أنه من الملاحظ من الدعاية أنها ستكون انتخابات حامية الوطيس، وفي وسط كل هذا نسينا أن نصل للمواطن البسيط

لنعرفه حقوقه وواجباته وكيف يختار، فهذا المواطن يستحق منا أن ندعه يُعْمِل عقله لا أن نحركه كدمية، فقط انتخب هذا لأنه صالح ودعك من هذا لأنه طالح وعميل وفاسد، لكن علمه كيف يختار واتركه ليختار بنفسه، فتلك الديمقراطية التي نحلم بها وذلك الحلم الذي وهبنا أرواحنا من أجله. فالوضع يا سادة ما زال مزريًا ونسينا الشعب كمقام أول وهمَّشناه وانشغلنا بمحاكمة السابقين وكأن الثمانية وثمانين مليون مصري خلوا من العباقرة والمبدعين الذين يستطيعون أن ينهضوا بمصر ويتحَدَّوا بها العالم.

لا نريد أن نتعجل الأمور، فثورة فرنسا التي يضرب بها التاريخ المثل استمرت ١٠ سنوات حتى نجحت وقامت لها قائمة، لم تنجح في يوم وليلة، فالأمم تبنى في سنوات والعقول تبنى في سنوات، ما زال هناك نصف لم نعمل فيه بعد لنعمل فيه أولاً، ثم لنبحث عن الثورة الثانية، ولكن لنحافظ على الأولى ونتمها على خير وجه، فما زال هناك الكثير من الجبهات لنحارب فيها؛ مثل متسلقي الأكتاف ومن يتلاعبون على أكتاف الثورة ويتصنعون أدوار البطولة. فالثورة الثانية لا بد أن تقوم ولكنها مختلفة تمامًا هذه المرة، فهي ثورة على النفس والذات والتخلص من رواسب الماضي بكل حماقته وجهله وتعتيمه، ولنساعد البعض أيضًا على التخلص من الترحم على أيام ولت شعر فيها بالأمن، وربما لعن تلك الأيام مضطربة الأحوال، ولعن هذا اليوم الذي فكر فيه بالثورة، ولعن من قاموا بالثورة.

لست ضد الثورة الثانية في حد ذاتها، ولكني مع الاكتفاء بالمليونيات والاعتصامات وترك النصف الآخر الأهم - من وجهة نظري - في تلك المرحلة. فثورة التغيير الحقيقية لا بد أن تنبع من داخل كل واحد فينا، والأهم أن تكون نابعة من وسط الناس، وليس من برج عالٍ، فلا تعيش كل فئة في قوقعة وبمعزل عن الناس وتخرج علينا بطلبات عجيبة، خصوصًا أننا في وقت يستحيل أن توحد آراء الناس على أشخاص محددة؛ لأنك ستجد كمًا حافلاً من الاختلافات، لذا فلنعش معًا قلبًا على قلب، وليكن الشعار

«تحيا مصر»، وكما قال أحد القساوسة ردًا على تظاهر بعض الأقباط أمام السفارة الأمريكية مطالبين أمريكا بالتدخل لحل أزمتهم، فقال حينها «إذا كان الأقباط سيستنجدون بأمريكا لحمايتهم في بلدهم مصر، فليمت الأقباط ولتحيا مصر».. فليكن الشعار تحيا مصر.

«إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ».

عن الثورة الثانية نتحدث

أولاً اسمح لي في البداية أن أسجل اعتراضي على هذه التسمية، فلم نعرف في التاريخ شيئًا اسمه ثورة أولى تتبعها ثورة ثانية؛ لأن الثورة الثانية ستعني بكل تأكيد فشل الأولى، أو على الأقل عدم الوصول إلى أسباب قيامها، وهذا ما لم يحدث؛ لأن الكثير من الطموحات والأحلام تحقق بالفعل، فلقد كان النداء في يوم ٢٥ «عدالة اجتماعية وانتخابات نزيهة، وإطلاق الحريات، وإلغاء التوريث، وحل مجلس الشعب المزور»، وحينما تملك المتظاهرون زمام الأمور ارتفع سقف المطالب، وطالب الشعب بوجود نائب للرئيس وحوار بين مختلف القوى السياسية، ثم ارتفع السقف ليصل إلى إسقاط النظام ورئيسه، وبالفعل نجحت كل الطلبات، وعلى الرغم من الثورة المضادة وإشعال الفتن وتجاوزات المجلس العسكري، فإن الثورة حققت نجاحًا ملحوظًا، لمسه الجميع بلا استثناء، وإن كان هناك من عكر صفو تلك الثورة، فهو الشعب نفسه الذي ذهب كل فصيل به يبحث عن مطالب فئوية خاصة به، ولكن دعنا نضع خطًا عريضًا نتفق عليه لنبدأ حديثنا، دعنا نتفق على أن الثورة تحتاج إلى مليونية لإيقاظها وللضغط على المجلس ليسرع في الاستجابة للمطالب وليضرب بيد من حديد على يد الفاسدين ولا يتأخر أكثر من ذلك.

لا تتسرع وتقُل لي ولِمَ كل تلك المقدمة السخيفة لتصل بنا إلى أننا يجب أن نسمي يوم ٢٧ مايو «مظاهرة مليونية» وليس ثورة، وأعتقد أني أجبت الفارق، فالتأييد شيء وخلق ثورة جديدة شيء آخر، فتلك لفظة لا يغفرها التاريخ..

دعنا إذًا ندخل إلى مطالب الثورة الثانية، اتفقنا على أن المطلب الأول وهو الإسراع بمحاكمة الفاسدين مطلب الجميع يتفق عليه بلا استثناء.

والمطلب الثاني؛ لا للتصالح مع الرئيس السابق، وهل هناك عاقلان يختلفان على هذا المطلب، فالقاتل يقتل ولا بد للظالم أن يذوق وبال ظلمه وبطشه، ويستشعر مدى المرارة التي ألحقها بشعبه. فلن نصالح ولن نعفو، فلسنا

آلهة إننا بشر ومن الطبيعي أن نحمل في قلوبنا بعضًا من البغض لمن ظلمنا وأفسد حالنا.

والمطلب الثالث؛ تكوين مجلس رئاسي مدني من ٥ شخصيات، دعنا إذًا نفكر قليلاً في هذا المطلب من هم الخمس شخصيات المصرية الذين سيتفق عليهم الجميع بلا استثناء، سيظهر لك مؤيدون ومناصرون، وستجد كل من يختلف على شخص، سينزل مناصرون للآخرين ليعلنوا الاحتجاج، وليس من المعقول أن تسمح لشخص بأن يكون وصيًا عليك في اختياراتك، أما الآن فالمجلس العسكري سيحكم حتى يتولى رئيس، وهي مدة لن تتجاوز الأربعة شهور، فلا ينبغي أن نضغط لكي يستمر أكثر من ذلك، وعلى الوجه الآخر ما المانع في أن يستكمل تلك الأربع شهور حتى تتم انتخابات مجلسي الشعب والشورى والرئاسة؟!

أضف إلى هذا أنه انتهاك واضح وصريح للاستفتاء الذي مر والذي يُعد أول تجربة ديمقراطية حقيقية تشهدها مصر منذ ثورة يوليو.. والآن ندعو إلى مجلس رئاسي وإسقاط المجلس العسكري والبدء في كتابة دستور! فبأي منطق نطالب بهذا؟!

هل نعيّن أنفسنا وسطاء على الشعب؟ أم نتحول إلى حزب وطني جديد، يدعو إلى أن يمرر ما يشاء هو فقط بعيدًا عن إرادة الشعب، فإن أراد «نعم» فـ«نعم» وإن أراد أن يمرر أحدًا فيمرره وندعي بأننا نحن الفئة المثقفة التي تعرف ما يحتاجه الشعب بكل دقة، ونجعل أنفسنا حكرًا عليهم ونتهم بأنهم لا يفهمون الديمقراطية ولا يعرفون مصلحة البلد؟! فأي منطق يقول هذا، أي منطق يجعلنا نحول حال البلد إلى فوضى، ويجعله كل يوم يشتعل لنزول فصيل يريد مطالب معينة.

هل المجلس العسكري متآمر مع النظام السابق؟

لا أحد يستطيع أن ينكر أن المجلس العسكري متباطئ جدًّا في كثير من القرارات، ولا أحد ينكر أن المجلس العسكري رعى الثورة منذ الوهلة الأولى

ومنع النظام السابق من أن ينكل بمصر كما حدث في ليبيا واليمن وسوريا، وهذا فعل يشفع له، ولكن المحصلة أننا سنضغط عليه ليسرع بالاستجابة لطلباتنا..

لنضرب بيد من حديد كل ألوان الفساد، ولكن لنأخذ حذرنا من أن نتسبب في احتكاكات يستغلها فلول النظام وبعدها نعود لنقطة البداية من جديد وكأن شيئًا لم يكن.

ودعنا نختتم المقال بإطار عام للاتفاق، وهو أننا جميعًا وإن اختلفنا في مطالبنا أو رغباتنا أو فيما نرسمه لمستقبل مصر، فإننا نشترك في حب هذا الوطن ونزلنا في المرة الأولى نفديه بأرواحنا وعلى استعداد أن نفديه حتى آخر نفس بداخلنا، ولكن حذارِ فكما يقول سارتر «الطريق إلى الجحيم محفوف دائمًا بالنوايا الحسنة»، وكما يقولون «من الحب ما القتل»، فحذارِ أن يتحول الحب الذي بداخلنا إلى احتواء خانق يخنق نسمات الهواء التي تنفسها الوطن فنسهم في خلق فتنة لا تبقي ولا تذر.

سننزل من أجل إحياء ثورتنا ومن أجل حبنا للوطن وإن اختلفت مطالبنا.

تحيا مصر..

ثورة ديلفري

منذ إعلان رحيل النظام السابق ومحاسبة كل رموزه السابقين، لا تكاد تحدث كارثة من كوارث فلول ورجال النظام البائد، إلا وأجد عبارة «خدنا إيه من الثورة؟!» جاهزة لتدوي في الآفاق من كل شخص لا يقدِّر ولا يعي معنى الثورة، وللأسف هذا حال الكثير من البسطاء؛ لأنهم يبحثون عن مردود الثورة في غضون أيام في أسعار المواد الغذائية والقضاء على البطالة، وكأن الحكومة الجديدة تملك عصا سحرية، وإذا ما حدثت حادثة سرقة أو حدث ارتفاع في الأسعار أو تأخر في وصول السلع التموينية فستجد الكثير يجمعون على قول «خدنا إيه من الثورة؟!».. وكأن في ظل النظام السابق لم يكن يحدث عجز في السلع أو زيادة في الأسعار، وكأننا في ظل النظام البائد لم نكن نعاني من اللصوص والمنتفعين من قبل الأمن نفسه وليس فقط اللصوص وقطاع الطرق.

فالناس لم يدركوا بعد حجم المعجزة التي صنعت، وتلك العناية الإلهية التي أخذت بيد تلك الثورة الطاهرة حتى قضت على النظام، وبدأت ثورة أخرى في المساعدة في وضع مصر على أول الطريق الصحيح.

لقد أصبح الجميع يريدون ثورة «دليفري»، ثورة تُؤكل ثم ينصرف الجميع إلى حال سبيله، متخيلين تحسن الأوضاع بين ليلة وضحاها، حالمين بحياة وردية، متناسين أن الأوطان تُبنى في سنوات.

وبعدما قامت الثورة وحققت نجاحًا، بقي الكثيرون في أماكنهم ساكنين؛ لم يتحركوا لمجاراة التغيير، وكأنهم ينتظرون عدد ٨٨ مليون وجبة ثورة «دليفري» ستصلهم إلى البيت؛ لتحول حياتهم من البؤس والضيق إلى جنة وسعادة!! إنهم لم يرهقوا أنفسهم في البحث عن التغيير والتطوير ولكنهم آثروا أن تأتيهم ثمار التغيير حتى بيوتهم، فاتهموا الثوار بالتقصير وبأنهم أضاعوا الأمن والأمان، ناسين، أو متناسين، حجم المعجزة التي صنعها هؤلاء الثوار، وأنهم من وضعوا للحرية ثمنًا وأنهم من رُوي بدمائهم هذا الوطن في أطهر ثورة شعبية في تاريخ مصر، تلك الثورة التي خرجت من جعبة

شباب، كانوا ينعتون بـ«السيس»، وأنهم شباب لا هدف لهم ولا أمل فيهم، فهم لا يعرفون مصلحتهم، وحينما عرف هؤلاء مصلحتهم وفوقها مصلحة البلاد سرعان ما انهالت عليهم الاتهامات أيضًا، وكأننا اعتدنا اتهام هذا الجيل بسبب وبغير سبب.

فهل نضع عن كواهلنا ثورتنا الخاصة بكل واحد فينا لنلصقها بالشباب، ونظل ننتظر تلك الثورة «الدليفري» التي تدخل كل بيت وتأتي إلى كل فرد مرفقة بكارت خاص باسمه، ليعلم ساعتها أنه هو المعني بالثورة وليس فردًا بعينه، وليتذكر أنه فرد في وطن، له ما له وعليه ما عليه، وأنه شاء أو أبى هو أحد أفراد الثورة، وأنه هو المعني بالتغيير أيضًا وليست الحكومة فقط، فكل واحد فينا لبنة من لبنات المجتمع، وكلما طال إحداها السوس فتَّ في عضد البنيان، فهل سننتظر تلك الثورة «الدليفري»، أم سيبدأ كل منا في ثورته الخاصة من أجل مصر؟!

الرعاية المركزة

في السابع والعشرين من مايو وفي تلك الجمعة التي عرفت بـ«جمعة إعادة روح الثورة» أو كما سماها البعض «الثورة المصرية الثانية»، جاءت تلك الليلة مخيبة للآمال؛ فـ«الإخوان» والسلفيون يشككون في بوادر فتنة بين الشعب والجيش على يد من سينزلون في هذه الجمعة، وكذلك بعض أصحاب الأقلام من الإعلاميين المرتزقة.

ليجيء صباح الجمعة مخيبًا لآمال كل هؤلاء وليحمل معه نسمات الأمل، لتهب محملة بقطرات المطر، ليتبارك الجميع بأن رحمة الله قريبة منهم، وأن الثوار على الحق، وليتعالى صوت التكبير في الميدان من جديد مهللين «الله أكبر»، وليخرج الملايين في جميع ربوع مصر، مجمعين على حب مصر، ومنادين بمحاكمة الفاسدين والأخذ بثأر الشهداء، وعودة الأمن والأمان بتطهير الشرطة والقضاء والإعلام، وبعدما أحس المتظاهرون بقوتهم وبكثرة عددهم هتفوا جميعًا في صوت واحد «الإخوان فين.. التحرير أهو» ليردوا على من شككوا بهم وبانتمائهم وبحبهم لمصر.

لقد تحولت تلك الجمعة إلى صفعة على وجه «الإخوان» والسلفيين والمجلس العسكري والشرطة وكل من شكك في نيات المتظاهرين وتخاذل عن حمايتهم وتركهم لقمة سائغة للبلطجية والمخربين، ليستفيق جميع هؤلاء على أن كل شيء بيد الشعب، وأن الشعب إذا أراد فليسقط الجميع ولتحيا مصر.

وعندك واحد اعتصام

نصحني أحد أصدقائي المقربين في إحدى المرات أن أروّج على الإنترنت لفكرة اعتصام من أجل البطالة يشارك فيه كل من تخرج ولم يجد وظيفة، فأجبته حينها: وما رأيك لو دعونا لاعتصام من أجل «حلة المحشي» فبصراحة جميع صوابع المحاشي تعاني من «الزنقة» في حلة واحدة وتحتاج وبقوة إلى مساحة أوسع، لذا فرحمة بهذه الأصابع سنطالب من أجلها بتوسيع الحلة!! ولو صبر المحشي على الشربة لاستطاع أن يعيش «مرتاحًا» ودعنا إذًا نحشد جميع الخضراوات من أجل مسيرة المحشي.

وتعليقًا على اعتصام الأطباء من أجل زيادة رواتبهم، قال لي صديقي الطبيب: «إحنا تعبنا بقى إزاي نبقى شريحة تالتة والمدرس بقى شريحة تانية، لازم نطالب بحقوقنا قبل الموازنة الجديدة ما تتحط عشان نلحق»..

فأجبته بأننا في النهاية نلف وندور حول المصلحة الخاصة، الكل يبحث عن مصلحته ولا يشعر بالآخر ليأخذ هو في هذه الفترة كل حقوقه وليذهب الآخر إلى الجحيم.

ركبت مع أحد سائقي «الميكروباص» فسألته عن سر زيادة الأجرة، فأجاب لأن سعر السولار ارتفع، والغريب أن السيارة تعمل بالبنزين، ولكنه تضامنا مع «سواق صاحبه» قرر يرفع سعر الأجرة، فقلت له: «وإيه ذنب الناس، هو ميت بيضرب في ميت، البلد مش هينصلح حالها غير لما كل واحد يراعي ضميره في شغله»، فأجابني: «يا بيه وهو فين الحكومة؟! الحكومة القديمة سرقنا والجديدة مش عارفة تمشِّي البلد!». وفي اليوم التالي وجدت جميع السائقين في إضراب عام من أجل زيادة الأجرة مرة ثانية وتخفيض سعر السولار!!

في كل يوم تجد ما لا يقل عن ١٠ اعتصامات أمام مجلس الوزراء، بالإضافة إلى الاعتصامات التي أمام جميع النقابات المختلفة، لذا أطالب شركة مطاعم «كنتاكي» بإضافة هذا الصنف إلى قائمة وجباتها حتى يسهل علينا عمل اعتصام في «بيوتنا» لأن جميع الأماكن أصبحت محجوزة؛ المستشفيات

للأطباء، والمواقف العمومية والشوارع للسائقين، وكل نقابة بمن هو تابع لها، «فبما أن الأماكن كلها انشغلت فاحنا نحل المشكلة باعتصامات دليفري»، أو من الممكن أننا نعمل «نبطشيات» وكل مجموعة «تسلم للي بعدها» وسلم لي على الشعب وسلم لي على مصر!!

حينما يجمعنا القدر في سفينة واحدة

نبحر بسفينة الوطن مغادرين ميناء الثورة، تتقاذفها الأمواج من كل جانب، فيومًا تهتز ويومًا تبحر بكل قوة، ويومًا تعلن تحديها أمواج البحر، ويومًا يدرك من فيها أهمية الأمواج ويحسبون لها ألف حساب.

ويومًا ما تهاجم الأمواج السفينة، فمرة موجة أن المجلس العسكري فوق النقد، وهم لا يدركون أن لا أحد فوق النقد، فقد انتهى هذا العصر، وكل الأوراق أصبحت مكشوفة، ولم يعد هناك مكان للغرف المغلقة منذ تلك اللحظة، فالشعب أراد ولا بد أن تُحترم إرادة الشعب، وما دمنا سنكمل المسير في مركب واحد، فاحترم عقلي رجاءً.

وموجة الصفقات التي تعقد في الغرف المغلقة من أجل الفوز بالنصيب الأكبر من كعكة الثورة، كأن الثورة أصبحت حكرًا على أشخاص بأعينهم، والغريب أن أكثر من يحاولون الانتفاع هم أناس لم يشاركوا في الثورة أصلاً ولا يعرفون قيمتها، بل ربما لعنوها لأنها جردتهم من مناصب ومصالح.

الأحزاب و«الإخـوان» والسياسيون يبرمون الصفقات في الغرف المغلقة.. أنت تأخذ هذا، وأنا نصيبي ذاك، كأن السياسة أصبحت «عزبة» توضع لها القوانين كيفما نشاء، فلم يشفع لـ«الإخوان» ثمانون عامًا في العمل الجماعي لينتهوا إلى كسور في بدء عملهم السياسي.

لكنهم بلا شك هم الأكثر تنظيمًا وتماسكًا في تلك الفترة.

وموجة دخول السلفيين في الحياة السياسية التي تعبر عن حالة ولادة صعبة، فهم ما زالوا يدخلون على تخوف وحذر، تدفعهم الحماسة إلى المحافظة على الدين. لكنهم جهلوا أن الأمر ليس مجرد أن تلم بأمور الدين فقط، ولكن السياسة لها دروبها الخاصة، فالسياسة لا تؤخذ عنوة ولا تُدخل بالقوة، وإنما تحتاج إلى فكر وتخطيط. فحذارِ أن تكون النية الحسنة بداية الطريق إلى الجحيم، فنحن نعتقد أننا نفعل الخير ثم نكتشف أننا نلقي بأنفسنا في التهلكة.

فبين موجة الانقسامات بين الائتلافات والثوار، وتغليب المصالح والتبارز في

الحب، ولكنه تبارز يؤدي إلى وقوع إصابات وانقسامات، وكسر في الصف.. شرخ في البنيان أحلى!

وبين تسارع مطالب الشعب، فالشعب كأنه كان يقوم بثورة للجياع، همه الأكبر بعد الثورة أصبح بعض المطالب الفئوية والشخصية، وبالفعل لقد شعر بقوته لأنه حينما أراد أُجيبت له كل الطلبات، ونسي أن تنفيذ مطلب واحد مثل رفع الحد الأدنى للأجور كلف الدولة أن وضعت أخطر موازنة في تاريخ مصر، وأنها اقتصاديًّا كارثة بكل المقاييس، ولكن لا أحد يستطيع أن يقف في وجه الشعب، ولا يستطيع تأخير المطالب، لدرجة أن المطالب ارتفعت إلى امتحانات سهلة من أجل إراحة الأبناء، ولدرجة اعتصام أمام الأزهر للمطالبة برفع درجات الشهادة الإعدادية!!

كل شخص يتعجل من أجل مصلحته الشخصية دون الاعتبار للمصلحة العامة، نحن للأسف نحب أنفسنا وأبناءنا أكثر من مصر، ولو أخلصنا الحب لجعلنا مصر «يابان» أخرى في غضون ثلاث سنوات، فنحن للأسف أصغر من الثورة العظيمة التي صُنعت.. فنحن لم نكن على مستوى ثورتنا العظيمة فحينما يجمع القدر كل هذه الأطياف في سفينة واحدة، فإما أن نغرق وإما أن نعيش كما حلمنا.

تحيا مصر..

تُرى هل تضل الثورة؟!

بين الثورة والثورة والمضادة وبين أطياف من الشعب لم تدرك بعد حجم المعجزة التي حدثت من نوعية «إحنا آسفين يا ريس» «والله يرحم أيامك يا ريس ما كنتش مشيّلنا هم حاجة»، وبين مصالح ومكاسب سياسية بدأت في التوزيع وبدأ الجميع يبحث عن نصيبه من الكعكة، فالائتلافات نفسها تمزقت وأصبحت كل حركة منقسمة بين مصالح شخصية ومصالح قومية، فأصبح ينبع من كل ائتلاف ائتلاف آخر، إما انقسام نابع من الظهور وإما انقسام نابع من أولوية اللحظة الحالية بين المعضلتين الدستور أولاً أم الانتخابات أولاً.

شيء مؤسف أن نكون بالأمس كتفًا بكتف في وجه الظلم والطغيان، كتفًا بكتف في مواجهة الموت، واليوم نحن وجهًا لوجه أمام خلافاتنا ومصالحنا، حتى حبنا لبلدنا أصبحنا نزايد عليه، فكل طائفة تتهم الأخرى بالتخوين والعمالة دون وجه حق، وكل يشكك في وطنية الآخر، فللأسف لقد استعجل الكثيرون نصيبهم من كعكة الثورة لأنهم من صنعوا الثورة وهم أحق الناس في أن يفوزوا بخيرها، وعلى الوجه الآخر هناك أناس صنعوا الثورة ثم عادوا إلى بيوتهم وأعمالهم لا يشغلهم شيء سوى الانتظار والمشاهدة حول ما ستسفر عنه الأوضاع الحالية، وما ستؤول إليه بعد هذه الصراعات، أضف إلى هذا عدم شفافية المجلس العسكري في الكثير من الأحداث وخروجه متأخرًا كالعادة لتوضيح وجهات النظر، فالأمر برمته يوحي بحالة من الضلال وسط هذا الخضم من الأحداث والمصالح.

إن أصعب شيء على الإطلاق هو المزايدة على الحب والوطنية، وأن يكون الرد دائمًا «أنا كنت في التحرير من يوم ٢٨ لغاية يوم ١١»، وكأن وجودك بالتحرير هو صك لك يجعلك تتحدث كيفما تشاء وتملي علينا آراءك ووجهات نظرك السياسية العظيمة، وآخرون يصدرون قرارات بعيدة عن الشورى والحرية لتسير على أعضاء أحزابهم وجماعتهم، فأي ثورة صنعنا إذًا؟! هل صنعنا ثورة لكي نصل في النهاية إلى هذه الحالة من الضلال؟!

أخشى ما أخشاه أن تضل ثورتنا في هذا الكم من الاختلافات، ثم ننظر في النهاية لنجد أننا لم نتقدم خطوة واحدة، ثم نبدأ بعدها في تصفية بعضنا البعض، كما حدث في الثورة الفرنسية، ولست أقصد تصفية جسدية بل تصفية فكرية وعقائدية.

وكل تلك النقاشات تعيش في واد والشعب يعيش في وادٍ آخر، ففي الوقت الذي يتحدث فيه الساسة عن معضلة الدستور والانتخابات، الشعب مشغول بزيادة الرواتب وعودة الأمن والشرطة والإضرابات الفئوية التي لا تخلو منها مصلحة حكومية واحدة، لتصبح الثورة مهددة بضلال أكبر، ضلال سيلف ويدور بها من ٨٠ مليونًا اتجاه، ليجعلها في النهاية تفقد قدرتها على الصمود لتسقط مغشيًّا عليها.

لست متشائمًا، فأنا على يقين على أن الغد يحمل لنا الأفضل وأننا عما قريب سننعم بأثر الثورة، ولكنه ناقوس خطر يدق بكل قوة ليعلن أن الثورة تدور تائهة بين المثقفين والساسة وخلافاتهم واهتمامات الشعب وحكومة حائرة لا تدري من أين تبدأ، ومجلس عسكري يشعرنا بأنه يدير قضية أمن قومي.

العلمانيون والإسلاميون

تعيش مصر في الفترة الأخيرة صراعًا دائرًا بين العلمانيين والليبراليين والإسلاميين، هذا الصراع الذي يبدو أنه سيكون المُحرك الأساسي للحركة السياسية في الفترة القادمة، لكي يكون التحزّب عن طريق تلك الحركات الثلاث فقط.

بداية؛ العلمانية كلمة تعني فصل الدين والمعتقدات الدينية عن السياسة والحياة العامة، وعدم إجبار أي أحد على اعتناق وتبني معتقد أو دين أو تقليد معين لأسباب ذاتية غير موضوعية..

أي أنها فصل كامل بين الدين والسياسة والاجتماع، بحيث يوجد حاجز فولاذي بين المسجد أو الكنيسة والحياة خارج المسجد أو الكنيسة.

والليبرالية تعني التحرر، أي التحرر المطلق من كل القيود مما يجعلها مجالاً للفوضى.. الليبرالية حاليًا مذهب أو حركة وعي اجتماعي سياسي داخل المجتمع، تهدف لتحرير الإنسان كفرد وكجماعة من القيود السلطوية الثلاثة (السياسية والاقتصادية والثقافية)، وقد تتحرك وفق أخلاق وقيم المجتمع الذي يتبناها. تتكيف الليبرالية حسب ظروف كل مجتمع، إذ تختلف من مجتمع إلى مجتمع.

الليبرالية أيضا مذهب سياسي واقتصادي معًا، ففي السياسة تعني تلك الفلسفة التي تقوم على استقلال الفرد والتزام الحريات الشخصية وحماية الحريات السياسية والمدنية.

والإسلاميون متمثلون بقوة في الإخوان المسلمين بصفتهم الفصيل الأول والأقدم على الساحة وصاحب الخبرة الأكبر، ثم يأتي بعدهم السلفيون والجماعة الإسلامية الذين يأتون إلى السياسة من بعيد بعد خصام دام لسنوات وسنوات عازمين على اقتحام الحياة السياسية كفصيل قوي.

والصراع الدائر والجدال القائم بين كلا التيارين، حيث يريد العلمانيون أن يفصلوا الخطاب الديني حيث تتحول مصر إلى دولة علمانية من الطراز الأول لكي يستطيع الشعب ممارسة جميع الحريات التي تتاح له، ولكي تصبح مصر الولايات المتحدة الأمريكية في مساحة حريتها.. فهم يرون أنه من أجل

مصر يجب أن تُكفل كل الحريات بلا أدنى قيود، لكي تعود مصر إلى مكانتها الطبيعية ولكي تصبح دولة من مصاف الدول الكبرى، يجب أن تتحول إلى دولة مدنية، بعيدًا عن التحزب لجماعة إسلامية أو تيار معين، فهذا يحدث في إطار دولة قوية وحرية شخصية وليس من خلال الرجوع إلى قطع اليد والرجم.

والليبراليون يريدون التوصل إلى أكبر حرية ممكنة مع الحفاظ على التقاليد والعادات المصرية والدينية، فالليبرالية لا تقوم على التحرر المطلق مثل العلمانية، فالليبرالية دائمًا ما تُبقي نافذة مفتوحة للعقيدة والدين وحرية ممارستهما، الأمر الذي أدى في الماضي إلى تكلّم بعض المنشغلين بالدين عن مصطلح اسمه الليبرالية الإسلامية، والذي تناوله جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا. لذا فلا سبيل للتقدم سوى بكفل حرية المعتقد والفكر، وإطلاق المفكرين والساسة وأصحاب العقول وعمل وزارات تكنوقراطية لكي يبرع كل شخص في مجاله، وإطلاق جميع الحريات من أجل حرية التعبير، فلا يوجد أحد فوق النقد ولا أحد فوق القانون.

والتيار الإسلامي يرى أنه قد ترك الملعب كثيرًا لكلا التيارين، العلماني والليبرالي، وأنه حان الوقت لكي تكون مصر دولة ذات هوية إسلامية يطبق فيها شرع الله وحدوده، لأنهم لم يأخذوا شيئًا من الفترات السابقة سوى المعتقلات وتجنيب الدين واحتلال التيارات الأخرى وسائل الإعلام لتشويه صورتهم ووصفهم بالإرهابيين والمتشددين. وعلى العكس فهم يرون أن الحال لن ينصلح إلا بالعودة إلى تطبيق الحدود وإقامة شرع الله في أرضه وكل ما هو عكس ذلك فهو عداء واضح وظاهر للدين.

والسؤال الآن في وسط هذا الكم من الزخم من الصراعات إلى أين يذهب المواطن العادي البسيط، فأنا كشخص نشأت في بيت معتدل أخلاقيًّا لأب وجد ملتحيين ولكنهما لم ينتميا إلى أي تيار فهما يحبان هذا الدين بالفطرة، ويعيشان بتلك الفطرة النقية دون أن يتوجها إلى تفكير معين أو منهج معين،

يصليان ويصومان ويحجان ويتجنبان الحرام ويحرصان، قدر المستطاع، على الطاعة، يوفقان مرة ويقعان مرة، يذنبان ويتوبان، عندهما أمل في فضل الله وكرمه عليهما، ولكنهما لا يفهمان تلك المصطلحات الكبيرة؛ العلمانية والليبرالية والإسلاميين.

فهل مثل هذين – ومثلهما كثير – يقع في منطقة «الأوف سايد» حيث لا مكان ولا مساحة ولا فائدة للعب، ما دامت كل تلك الأطراف تحرص على تهميشه والتعامل معه على أنه دُمية؛ وقتما يحتاجون إليه سيوجهونه أينما يريدون، سواء باللعب على وتر الوطن أو وتر الدين؟!

إذا كان الأمر هكذا فعلى هؤلاء أن يستيقظوا وليعلموا أن تلك المنطقة خارج حدود اللعبة، وأنه لا مجال للعب هناك، لأن التيارات الأخرى تنظر إليها على أنها منطقة «الأوف سايد».

على طاولة المفاوضات

على خلفية الخلاف الحاد بين جميع التيارات على هوية مصر في الفترة المقبلة، فدعنا إذًا نجلس إلى طاولة المفاوضات وليدلي كل منا بما عنده ولا نجعل تفكيرنا حكرًا على أحد، سنستعرض جميع الأطراف بمنتهى الحيادية ولنترك الفرصة للشعب كي يقارن ويقرر.

اسمح لي في البداية أن نرسخ عدة مفاهيم عن الحقيقة وثباتها وعدم ثباتها، فالحقيقة هي الشيء الثابت يقينًا، وكذلك هناك حقائق متفق عليها وهناك آراء شخصية، فمثلاً قد يسلّم الجميع بحقيقة وجود الشمس لأنها ثابتة يقينًا، وقد يختلفون على مذاهب فقهية؛ لأنها تخضع للاجتهاد والرأي، لذا فلا شك أن العلمانيين والليبراليين والإسلاميين كلهم بلا شك يجتمعون على حب الوطن، ولا شك أيضًا في أن الخلاف مقبول؛ لأننا لا نتحدث عن ثوابت، وعندما نتحدث عن طرق تدار بها البلاد، فقد يرى الاتحاد السوفيتي أن أنسب نظام اقتصادي له هو الشيوعية ويرد التيار الرأسمالي بأن الرأسمالية هي الأنسب للعالم، ربما يكون الاثنان على صواب وربما أخطأ أحدهما وربما أصاب الآخر، فكلها في النهاية مسائل تقديرية، لذا فبداية ليست كل المسائل تحتمل رأيًا واحدًا فقط، لننطلق إذًا لنبدأ المفاوضات.

الدولة العلمانية

العلمانية هي حركة في اتجاه الفصل بين الدين والحكومة (وغالبًا ما كان يطلق عليه الفصل بين الكنيسة والدولة). ويمكن الرجوع إلى هذا الحد من العلاقات بين الحكومة ودين الدولة، لتحل محل القوانين استنادًا إلى الكتاب (مثل الوصايا العشر والشريعة) مع القوانين المدنية، والقضاء على التمييز على أساس الدين.

هذا ويقال إن العلمانية تضيف إلى الديمقراطية عن طريق حماية حقوق الأقليات الدينية، ولقد ظهرت تلك الحركة كرد فعل مباشر ورئيسي على تجاوزات الكنيسة في العصور الوسطى في أوروبا، إلى حد إعطاء صك الغفران

وتوزيع أنصبة الناس من الجنة مستخدمين ما يسمى «الحق الإلهي»، فظهرت تلك الحركة لتخلص رقاب الناس من سيطرة الباباوات على الحكم وعلى الناس مستغلين الدين في ذلك، فنادت تلك الحركة بالفصل التام بين الدين والحياة، تاركين الناس وآراءهم وفكرهم بعيدًا عن الكنيسة أو المسجد، حتى يعطوا للفرد أكبر حرية ممكنة، وكذلك بسبب انشغال الناس أنفسهم بالدين عن الحياة، وانشغلوا فقط بالكنيسة، حتى إنه أول من نادى بالعلمانية قد تم قطع رأسه على المقصلة، وذلك لأن أهل الدين وقتها من باباوات الكنيسة قد اتهموه بالكفر، حتى تقبل المسيحيون العلمانية وظهر ما يعرف بـ«العلمانية المسيحية».

أسس الدولة العمانية تتمثل فيما يلي:

أ- حق المواطنة هو الأساس في الانتماء، بمعنى أننا جميعًا ننتمي إلى مصر بصفتنا مصريين، مسلمين كنا أم أقباطًا.

ب- الأساس في الحكم الدستور الذي يساوي بين جميع المواطنين ويكفل حرية العقيدة دون محاذير أو قيود.

ج- المصلحة العامة والخاصة هي أساس التشريع.

د- نظام الحكم مدني يستمد شرعيته من الدستور ويسعى إلى تحقيق العدل من خلال تطبيق القانون ويلتزم بميثاق حقوق الإنسان.

هناك بعض الدول تنصّ دساتيرها صراحة على هويتها العلمانية؛ مثل الولايات المتحدة وفرنسا وكوريا الجنوبية والهند وكندا.. وبعض الدول الأخرى، لم تذكر العلمانية في دساتيرها ولكنها لم تحدد دينًا للدولة، وتنصّ قوانينها على المساواة بين جميع المواطنين وعدم تفضيل أحد الأديان، والسماح بحرية ممارسة المعتقد والشرائع الدينية.

يرى كثير من العلمانيين (العرب خاصة) أنهم يؤمنون بالدين ولكن بشكل تجديدي عصري، متطور متحرك. فيتحول الخلاف الرئيسي بين المؤيدين

والمعارضين للعلمانية (اللادينية) إلى اختلاف حول طبيعة الإنسان ما بين الثبات والتغير؛ وموقف الشريعة من ذلك ما بين الجمود والمرونة. فيرى العلمانيون أن الإنسان كائن متغير ومن ثم ينبغي أن تكون الأحكام التي تنظم حياته متغيرة، فلا تصلح له شريعة جوهرها الثبات. وأن هذا يعني الحجر على الإنسان والحكم عليه بالجمود الأبدي.

ويتضح من المقارنة الأخيرة أن هناك خلافًا جوهريًّا بين العلمانية في الدول الأوروبية والدول العربية والإسلامية، ففي الدول الأوروبية قد تصل العلمانية إلى حد كونها جزءًا من التيار الإلحادي، أما في الدول الإسلامية والعربية، مثل تركيا وتونس، فإن العلمانيون يبحثون عن الحداثة، وليست اتجاهًا إلحاديًّا. ولكنها في كثير من الأحيان تتعارض مع الدين، مثل قوانين الأحوال الشخصية، أو قانون منع تعدد الزوجات أو قوانين محكمة الأسرة التي كثيرًا ما تتعارض مع تشريعات الدين، ولكنها في الغالب تكون مطابقة لفكر الدولة العلمانية.

الدولة المدنية

للخروج من مأزق تعارض القوانين مع الشريعة السائدة في الدولة بدأ المفكرين ينظرون إلى مفهوم الدولة المدنية.

فالدولة المدنية هي التي تعبر عن المجتمع وتكون وكيلة له وتستند لقيمه، ويختار فيها المجتمع حكامه وممثليه ويعزلهم ويحاسبهم، أو بتعبير آخر، هي الدولة التي يكون فيها السيادة فيها للشعب؟

إن مدنية الدولة هي أساس الحكم الصحيح، وتعود المرجعية التي تستند عليها هذه المدنية إلى توجهات الدولة وعقيدتها، ولكن مع إعطاء الحريات لكل الأديان، فالدولة الدينية بمفهومها تعتبر وصفًا لحال الليبرالية، التي تقوم على تكريس سيادة الشعب عن طريق الاقتراع العام، وذلك للتعبير عن إرادة الشعب واحترام مبدأ الفصل بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية، وأن تخضع هذه السلطات للقانون من أجل ضمان الحريات الفردية، وللحد

من الامتيازات الخاصة ورفض ممارسة السيادة خارج المؤسسات لكي تكون هذه المؤسسات معبرة عن إرادة الشعب بأكمله. فالمواطنون يتساوون أمام القانون ولكل منهم حقوق وعليه التزامات تجاه المجتمع الذي يعيش فيه.
في الدولة المدنية أناس يشغلون المناصب ويُحاسَبون، لا أحد فوق سيادة القانون، يتولى كل منصب من هو كفء له وليس أحد رجال الدين، فالفيصل هو التخصص وليس رجل الدين.
أخيرًا، فإن الدولة المدنية لا تتأسس بخلط الدين بالسياسة. إن الدين يظل في الدولة المدنية عاملاً أساسيًا في بناء الأخلاق وفي خلق الطاقة للعمل والإنجاز والتقدم. هذه وظيفة الدين الأصيلة في كل المجتمعات الحديثة الحرة.. ومن ثم فليس صحيحًا أن الدولة المدنية تعادي الدين أو ترفضه، فالدين جزء لا يتجزأ من منظومة الحياة، وهو الباعث على الأخلاق والاستقامة والالتزام، بل إنه عند البعض الباعث على العمل والإنجاز والنجاح في الحياة. ينطبق ذلك على الإنسان في حياته اليومية، كما ينطبق على رجال السياسة بنفس القدر.
إن ما ترفضه الدولة المدنية هو استخدام الدين لتحقيق أهداف سياسية، فذلك يتنافى مع مبدأ التعدد الذي تقوم عليه الدولة المدنية، فضلاً عن أن ذلك - وربما يكون هذا هو أهم هذه العوامل - يحوّل الدين إلى موضوع خلافي وجدلي وإلى تفسيرات قد تبعده عن عالم القداسة، وتدخل به إلى عالم المصالح الدنيوية الضيقة.. من ثم فإن الدين في الدولة المدنية ليس أداة للسياسة وتحقيق المصالح، ولكنه يظل في حياة الناس الخاصة طاقة وجودية وإيمانية تمنح الأفراد في حياتهم مبادئ الأخلاق وحب العمل وحب الوطن والالتزام الأخلاقي العام.

الدولة المدنية بمرجعية دينية

وهي أن الدولة المدنية تصبح لها مرجعية دينية، أي تقيد الحرية بمرجع نرجع إليه في النهاية، ولكن مع الاحتفاظ برجال الدين في أماكنهم ورجال

التخصص في أماكنهم أيضًا، فبما أن مصر بلد إسلامي يدين معظم شعبه بدين الإسلام إذًا فالمرجعية يجب أن تكون إسلامية..
ولا خلاف على تعريف الدولة المدنية، فما يزيد عليها هو أن المرجعية تكون للدين الغالب، مع إعطاء الأقلية جميع الحقوق وعليهم جميع الالتزامات.
مع التوضيح أنه في الفقه السياسي لا يوجد شيء اسمه دولة مدنية بمرجعية دينية، وإنما دولة مدنية فقط، لكن هذا المصطلح يعتبر اتجاهًا شعبيًّا ظهر حديثًا نتيجة للجدل القائم بين الدولة المدنية والدينية.

الدولة الدينية

الدولة الدينية تعني الحكم بما أنزل الله، وأن أي شيء من صنع البشر مثل العلمانية والليبرالية، كله باطل؛ لأن الحكم والأمر كله لله، فلا سلطة للبشر في وضع قوانين وضعية، بل ينبغي أن تطبق الحدود ويطبق الشرع؛ لأن الله عز وجل كلامه وحكمه مناسب لكل وقت وكل زمان، فلا شيء يصلح لاستقامة أحوال البلاد سوى الحكم بما أنزل الله وقال رسوله.
ولكن بلا شك في مصر مفهوم الدولة الدينية الذي وجد في العصور الوسطى من تحكم الكنيسة في رقاب الناس، مختلف تمامًا عن الدولة الدينية في ظل تعاليم الإسلام، فالإسلام يكفل الحرية في ضوء تشريعاته، فأنت حر ما لم تضر، وعلماء الدين يمثلون الشورى، والرئيس يأتي بالمبايعة وأن يكون مشهودًا له بالدين.
فالدين هو المصدر الرئيسي لكل شيء، لا صوت يعلو فوق صوت الدين..
كل الأوراق الآن طرحت على طاولة المفاوضات. يقول طاغور: «يا رب لا تجعلني أتهم من يخالفني الرأي بالخيانة»..
كما بدأنا الحوار سنجتمع على المصلحة ولن نختلف في حبنا لمصر.

الحلم العربي.. والبناء الداخلي

ما إن انتهت ثورة الثالث والعشرين من يوليو وأصبح الرئيس محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر العربية، لتصبح تلك أول مرة يطلق فيها لقب الجمهورية على مصر، كان الرئيس محمد نجيب يؤمن بوجوب تسليم الجيش السلطة إلى الشعب ورجوع الجيش إلى سكناته العسكرية، ولكن جمال عبد الناصر كان على العكس تمامًا، إنه يوقن بأنهم وحدهم هم من حملوا أرواحهم على أيديهم، لذا فلن يفرطوا في الرئاسة حتى يستتب الأمر ويُمكن للثورة، ليصبح الحكم العسكري من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى ١١ فبراير ٢٠١١ هو المسيطر على البلاد.. لتدفع مصر ثمنًا فادحًا لسيطرة الجيش على مقاليد الحكم وكل الشركات الحكومية والوزارات والهيئات، فالنظام طوال هذه الفترة لم يعرف أي وظيفة تكنوقراطية، بل كان يقوم على تكريم أبناء الجيش والشرطة والعدل، بتمكينهم من المناصب الرفيعة بعد خروجهم على المعاش، ليتسبب هذا الوضع في نكسة انتهت بثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١.

إن الوضع الآن مختلف تمامًا، فالشعب هو من صنع الثورة والجيش هو من دعمها، أما في ثورة ٢٣ يوليو فالجيش هو من قام بالثورة ثم أيدها الشعب. في يوليو كان الضباط الأحرار يحلمون بأن يستتب الحكم لهم، وفي يناير المجلس العسكري يلقي عن كاهله المسئولية ويتوق بكل لهفة إلى التخلص منها وتسليم دستور ورئيس منتخب ومجلس شعب إلى الشعب في أسرع وقت ممكن.

ولكن ثمة شيء مشترك بين الثورتين، فمع نجاح ثورة ٢٣ يوليو بدأ الرئيس جمال عبد الناصر في خطوات كان منها دعم الثورات في ليبيا والجزائر واليمن وغيرها من الدول العربية، كما انضمت مصر إلى مجموعة دول عدم الانحياز، وأصبحت مصر من قادة الحياد الإيجابي بين المعسكرين المتصارعين في الحرب الباردة، وسرعان ما تلا ذلك تأميم قناة السويس واتحاد مصر وسوريا.

والآن.. ما إن نجحت ثورة الخامس والعشرين من يناير حتى ساندت ثورة

ليبيا وسوريا واليمن، بالإضافة إلى المصالحة ما بين فتح وحماس، وفي الطريق تصحيح العلاقات بين مصر وباقي الدول العربية التي توترت العلاقات بيننا وبينهم في عهد النظام السابق، لنقف في مفترق طرق جديد؛ فمصر تسير الآن في طريقين كليهما مملوء بالأشواك: طريق ريادة الدول العربية من جديد، وطريق آخر في محاولة لإعادة البناء الداخلي لكل أركان الدولة، والمحافظة على الأمن والأمان الداخلي من فلول النظام السابق، فليس من المعقول أن تترك بيتك مفتوحًا وبلا سقف يحميه ثم تذهب لتسهم في بناء بيت جارك.
إن المسئولية وبحق كبيرة، ولكنها عهد مصر دائمًا، لذا فتاريخ هذا البلد المشرف يجعلنا نذوب عشقًا فيه حتى النخاع ومن أجله سنكمل المشوار، ربما لن نرى ثمرة جهدنا وتعبنا، ولكننا بلا شك سنخلق لأولادنا حياة أفضل بكثير مما نحن فيه الآن، فقط لنَجِدَّ ونعمل ونصبر لنصل إلى ما نريد.
«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»..

الثوار والشعب

أخطأنا خطأً جسيمًا حينما تركنا الثورة وعدنا إلى منازلنا حيث الـ«فيس بوك» و«تويتر» والمدونات من جديد، فرحين بـ«الشو» الإعلامي في البداية ومجموعة الائتلافات التي كوَّناها ثم عدنا إلى مواقعنا خلف أجهزة الكمبيوتر؛ لنصدم في بداية الأمر بالتعديلات الدستورية، فنحن وبحق فشلنا فشلاً ذريعًا في التواصل مع الناس، ولم نتواصل سوى مع أنفسنا، فاشتد الجدال والكلام بيننا على الـ«فيس بوك» بين «نعم» و«لا»، وكان الأمر يوحي على الـ«فيس بوك» بأن تيار «لا» أكبر بكثير، وجاء يوم الجمعة صادمًا حينما استُغل المنبر لقلب الطاولة رأسًا على عقب ليتحول الشعب كله إلى «نعم»، فنحن مضطرون لاحترام الديمقراطية مهما كانت نتائجها..

لم يخطئوا لكننا نحن من أخطأنا، نحن من ظللنا أمام أجهزة الكمبيوتر نتحدث مع بعضنا البعض لا نسمع سوى أنفسنا، نسينا العالم الواقعي وانشغلنا بالعالم الافتراضي.

الآن عظم الخطأ وكبر واتسع، تركنا الناس أيضًا وانشغلنا بكلامنا ونقاشاتنا الإلكترونية، فنحن لا نتعامل مع عامة الشعب، نتعامل مع فئة محدودة من المثقفين، فحينما تكتب أو أكتب أو يكتب كاتب من الكتاب المرموقين، فمن يقرأ له؟ وكم عددهم وما نوعيتهم؟ في الغالب هم أناس يمتلكون قدرًا من الثقافة والعلم، أما عامة الشعب فما زال عنا بعيدًا، لم نصل إليه، وبالطبع رد فعل طبيعي أنهم لن يحاولوا أن يصلوا إلينا. فكان شيئًا طبيعي أن نخسر كل هؤلاء، فنحن في حوار خاص وداخلي لا يقرأ لك إلا من يعرفك.. وبقية الناس أين؟! إنهم أصلاً ليسوا على الإنترنت، والإعلام ما زال خارج السيطرة ما زال يعيش في عصره القديم.

لقد سمحنا للبساط بأن يسحب من تحت أقدامنا، ثم بعد ذلك ندعي بأننا الفئة المثقفة التي من المفترض أنها تفهم وتعي كل شيء وكل ما يدار وما خلف الحجرات المغلقة، وفشلنا في أهم شيء وهو التواصل مع الناس، وأن ننزل إليهم الشوارع نكلمهم ونعرف طلباتهم، وهل يفرحون بالثورة أم

يلعنونها، وهل يرون أننا صنعنا معجزة أم أنه لا شيء تغير؟ وعلى العكس فلقد أجاد الإخوان المسلمون الدور ولعبوا على الشعب فقاموا بفتح دور لهم في جميع المحافظات والمراكز، وقدموا الخدمات للناس وأحسوا بمشاكلهم وساعدوا على حلها، ولكننا نحن انشغلنا فقط بالميدان!

ينبغي أن لا نندم على عدم وجود أحزاب قوية تتحدث باسم الثوار والثورة فنحن من ضيعنا الشعب من أيديا حتى وصل به إلى الأمر إلى أن يتهمنا بإيقاف الإنتاج ويحولنا من أبطال إلى مخربين! ولكن - كما قلت - لا ألوم على الشعب، فاللوم علينا نحن وحدنا، نحن من اكتفينا بعالمنا الافتراضي وتخيلنا أن الـ«فيس بوك» و«تويتر» اللذين أسهما في صنع الثورة سيجعلان كل شيء متاحًا لنا، ولكنهما للأسف نجحا في تجميعنا كشباب وفشلا في لم شمل الشعب؛ لأننا نسينا أننا نتعامل مع شعب يعيش منه ١٢ مليونًا في العشوائيات، ويعاني ٤٠٪ منه من الأمية، مراهنين على التكنولوجيا، لكنها نجحت في إسقاط النظام وفشلت في التفاف شعب بالكامل.

الثورة.. والثوار

يقول الدكتور مصطفى محمود: «هناك من يناضلون من أجل التحرر من العبودية.. وهناك من يكتفون بتحسين العبودية».. فهذه المرة يتضح للعيان انقسام حاد بين الشعب والثوار، بل ربما وصل الانقسام إلى الثوار أنفسهم، فبدأت لغة المصالح تتحدث، فلقد فقد معظم الشعب الثقة في الثوار إلى حد الاعتقاد بكونهم بلطجية ومخربين للبلاد، فالحرب هذه المرة أصعب بكثير من السابقة، ففي المرة السابقة كنا نحارب مبارك ورجاله، أما اليوم فنحن نحارب مبارك ورجاله، وتباطؤ المجلس العسكري، ومعظم الشعب الذي يعتقد أن هذه المظاهرات التي تطالب بحق الشهداء هي جزء من مصيدة الالتفاف حول الدستور لزعزعة استقرار البلاد، تدعمهم بكل قوة التيارات المستفيدة من الانتخابات القادمة؛ فهم يريدون أن تمر هذه الأيام ليبدأوا في وضع خطط لمحاربة الفساد. والثوار على عكس ذلك، هم يريدون تطهيراً كاملاً الآن.. إنهم لا ينتمون للنخبة أو الشعب، ولكنهم يحلمون بالحرية، تلك الحرية الكاملة ولا أقول المطلقة - فالمطلقة فوضى - تلك الحرية التي تكفل له التحرر من الفساد وبراثن النظام القديم، ولكن على العكس، نجد الشعب مكتفيًا بنصف الثورة، ومكتفيًا بوجود المخلوع في شرم الشيخ، ولا يدرك الجميع حتى الآن أنه لم يتحقق أي مطلب من مطالب الثورة، غير رحيل شفيق، أما محاكمة مبارك ورجاله ورموز الفساد فلا شيء يحدث، كل شيء محلك سر، تجديد للتحقيقات، على الرغم من أن الجرائم كلها كان العالم كله شاهدًا عليها، ولا يخفى عن عاقل في أن هناك الكثير من الرموز الحالية ستتورط في محاكمات وقضايا إذا تمت محاكمة جميع رجال الحرس القديم بالكامل، لذا فهم يُعتمون قدر المستطاع، آملين في أن تمر السفينة بسلام دون محاكمتهم، ولكن هيهات فلم نصنع ثورة لكي نكتفي بنصفها، بل صنعنا ثورة لتتحقق كل الأحلام، ولن نرضى بغير هذا بديلاً، ولكن بلا شك هذه المرة أصعب بكثير لأننا نعيش في وادٍ والشعب يعيش في وادٍ آخر، لقد أصبحنا في دائرة المخربين، وأكبر دليل على ذلك مظاهرة يوم الجمعة الأول

من يونيو التي لم شهدت إقبالا كبيرًا بين مؤيد ومعارض، فنقاشاتنا وكلماتنا لا تتجاوز الـ«فيس بوك» و«تويتر» وبرامج «التوك شو» التي أصبحت تصنف على أنها تابعة للعلمانية وتعمل ضد التيار الديني..

ومن يسمع تلك الكلمات لا يدري أن الدعاء الرئيسي للميدان «يا رب».

لا أُخفي أني خائف وبشدة، فلا يمكن أن نتحدى إرادة الشعب هذه المرة إذا نظر إلينا على أننا قلة مندسة، فبالأمس كانوا معنا يحتفلون، واليوم يسبوننا لأننا نُوقف مصالح البلاد، خائف وأنا أرى تيارات كانت معنا الآن انسحبت من الميدان لأجل الفوز بجزء أكبر من الكعكة. خائف وأنا أرى إعلامًا حكوميًّا بالأمس كان يصفق للنظام واليوم يصفق للمجلس العسكري. خائف وأنا أرى أناسًا كانوا معنا كتفًا بكتف واليوم يتهموننا بالخيانة والعربدة وبإيقاف حال البلد، خائف من انقسام شباب الثورة إلى عشرات الائتلافات وعشرات الروابط.

خائف وأنا أرى تيارات تقاومنا بكل قوة لتسحقنا سحقًا، فهي لا تمانع في أن تبيد كل من هم في التحرير الآن لتتخلص من هذا الصداع. خائف على مصير أمة احتفلت يوم الحادي عشر من فبراير برحيل الطاغية، واليوم يتقاتلون من أجل مصالح دنيوية، خائف وأنا أكتب هذه السطور أن أواجَه بكمية سُباب لا أعلم ما ذنب والدي فيه. خائف من يقرأ لي هذه المقالة أن يحذفني من قائمة الأصدقاء.. إنه الخوف الذي يحول كل طاقتك من ضعف إلى قوة، فأنا الآن بعدما أخرجت تلك الكلمات أشعر أنني لست وحدي، وأن حتمًا هناك أناسًا معي على الطريق الذي أراه صحيحًا، فإما أن نفوز بوطن كما حلمنا وإما أن نهلك دونه.

يا عزيزي كلنا مبارك

إذا قال لك أحده بملء فيه: «خدنا إيه من الثورة؟» فلا تفزع لقوله كثيرًا، فهو محق في كلامه، فحتى الآن مكسب الثورة الوحيد هو التغيير من التوقيت

الصيفي للتوقيت الشتوي، كل ما فعلناه أننا جمعنا بعض اللصوص في «بورتو طرة» بدلاً من شرم الشيخ، ما زال المخلوع محافظًا على مكانه في شرم الشيخ كما كان في السابق.

الأزمة الأكبر أننا لا نقاوم نظامًا مرتبًا من عدة أشخاص، ولكننا نقاوم فسادًا استشرى داخل كل فرد من الـ٨٥ مليون مواطن، فلقد طبع مبارك على داخل كل شخص فينا (عَلّم عليه)، لذا فأنت ترى أن الكبار هم أكثر الناس تعاطفًا معه والأكثر إلى طلب العفو والصفح عنه.. والشباب ولأن طبيعتهم متمردة فهم يمقتون الظلم والتحكم وحكم العسكر، لذا فهم يمقتون كل محاولات التراخي معه أو العفو عنه، رد فعل طبيعي، فهم لم ينزلوا الميادين ليُسحلوا ضربًا حتى يتم في النهاية التراخي مع الظلم والفساد، أو حتى يكره الناس الثورة فيترحمون على أيام الأمن والأمان في عهد المخلوع ويشتاقون إلى الرجل الذي طبع داخلهم كل معاني الفساد.

فبداية من الموظف البسيط وحتى رئيس الوزراء لم يترك الفساد أحدًا، إلا من رحم ربي، ليصبح مبارك داخل كل مواطن وكل فرد، كل واحد يمتلك منه نسبة تختلف من شخص لشخص، فهناك أناس يعشقون الفساد وهناك أناس يضطرون إليه للفوز بحقوقهم، ما زالت كل المناصب والحركات والتحركات يشملها الوساطة والرشوة والفساد والحقد والكراهية، ما زال الشعب يتنفس الكبت الذي يعيشه من الحكومة، فهذا يتشاجر في المواصلات وآخر يقتل وآخر «يطلع همه» في السيجارة، كل يفرغ طاقته وفساده قدر المستطاع وكيفما يوجهه عقله.

لذا فطبيعي ألا تشعر بالثورة لأنك ضربت ضربة على الرأس دون أن تقطعها، ونسيت أن الرأس ما زال يتنفس وما زال هناك صدر وأذرع وأرجل، كلها تحتاج إلى البتر، ما زالت هناك نطفة الفساد داخل كل مواطن مصري، ما زال في حاجة إلى التخلص منها، ما زال حب المصلحة والأنا خصوصًا من الحركات السياسية والجماعات يسيطر على الأجواء وكأنه امتداد رسمي

وشرعي لسياسة مبارك، لن تؤتي الثورة ثمارها حتى نعود على قلب رجل واحد، ونخلع مبارك الذي بداخلنا ونرجمه في ميدان عام، حتى نطمئن أن الرأس والأذرع والأرجل لم تعد تتحرك، ولم تعد لها قيمة، ولم يعد هناك مبارك بداخلنا.

الشهداء أولاً

بعد التدوينة الشهيرة التي هزت موقع الـ«فيس بوك» بالكامل: «الفقراء أولاً.. يا ولاد الكلب»، والتي أثرت فيّ إلى حد الهدوء والكف عن الكتابة في أي مقالات سياسية والبحث عن حقوق الفقراء وما نستطيع تقديمه في الفترة الراهنة من مساعدات، للشعور بهذا الكم من الناس ممن يعيشون تحت خط الفقر، ولا يجدون لقمة العيش وربما بحثوا في القمامة عما يتقوتون به، إلا أنني شاهدت تقريرًا عُرض ببرنامج «العاشرة مساءً» تناول أحداث الثورة طوال الثمانية عشر يومًا، ركز فيه التقرير على أحداث الثورة بجميع أيامها ومراحلها، ومدى التأثير على الشارع والمواطنين، وكذلك رد الفعل على المتظاهرين، والحقيقة أنني لم أشعر بنفسي سوى وعيني تبدأ بالبكاء، على مصير شهداء ومصابين ضحوا بأنفسهم من أجل أناس، يأتون بعد ذلك ليقفوا على جثث الشهداء بأحذيتهم من أجل مصالحهم الشخصية، متجاهلين دماءهم الطاهرة التي ما زالت تنزف، قانعين بمصالحهم الشخصية ومكاسبهم التي يحققونها، متناسين أصحاب الثورة الحقيقيين، ممن دفعوا دماءهم ونور أعينهم من أجل أن يستردوا كرامتهم، ثم يأتي من ورائهم أناس لا يقدرون ثورتهم ولا قيمة دمائهم ليقتسموا الكعكة فوق جثثهم، متجاهلين كل معاني الرجولة والوطنية والحب والأخوة، فلا شيء يتحدث سوى المصلحة الشخصية، كل الجدال القائم حول تقسيم الكعكة ولا شيء غير ذلك، محاكمات وقضايا قتل للمتظاهرين أطلق فيها الجناة ولم نجد صوتًا يتحرك، والعادلي ما زال دون محاكمة، والرئيس المخلوع، أين محاسبة

كل المسئولين من أقل عسكري وحتى المخلوع، أين العدل في بلد ثُرنا فيه من أجل العدل والكرامة والحرية، شيء طبيعي أن يحدث هذا لأنه بكل بساطة لا شيء يعلو فوق الانتخابات ولا شيء يعلو فوق معضلة الانتخابات أولاً أو الدستور أولاً، نحن فقط اكتفينا بالخلاف والصراع والتكذيب والتوخين، وبإظهار آراء التأييد لكل مرشح نقنع به أو نختاره.

كم أشعر بالمرارة لتقصيرنا في حق هؤلاء الشهداء، فلقد صنعوا ثورة ليتسلق المرتزقة على أكتافها، وأنا على يقين أنهم لو عادوا لتمنوا الموت آلاف المرات من أجل كرامتهم. فنحن لم نقدم للشهداء حتى الآن سوى مجموعة من الأغاني التي نسمعها ونرددها إحياءً لذكرى الثورة!!

إن الانشغال السافر عن دماء هؤلاء خيانة لهم، خيانة لمن أتوا لنا بالحرية، فليذهب كل شيء إلى الجحيم، فلا شيء سيعلو على هذه الدماء الطاهرة، ولا أحد سيلطخها بدنس المصلحة، فدماؤهم في رقابنا جميعًا، سيأتون يومًا ما ليتعلقوا بنا ويقولوا تركنا لكم ثورة وأنتم أضعتموها في وسط خلافاتكم ومصالحكم.

لذا فحق الشهداء أولاً وقبل كل شيء.. «مش هنسكت».

الثورة أولاً

حتى الآن لم تتم محاكمة أحد من الفاسدين ولا قتلة الشهداء، حتى الآن لم يرَ المصريون ثمرة ثورتهم، لذا بدأت الدعوات الرجوع إلى الميدان في الثامن من يوليو في ما سمي «جمعة الإصرار».

أعلنت كل الأحزاب والحركات السياسية نزولها «جمعة الإصرار» التي اتخذت «الثورة أولا» شعارًا لها، وكذلك أعلن الإخوان المسلمون النزول وكذلك السلفيون والجماعة الإسلامية؛ للضغط على المجلس العسكري لتنفيذ مطالب الثورة، فللمرة الأولى منذ فترة تتوافق كل الطوائف الحزبية والجماعية على يوم واحد منذ تقديم أحمد شفيق استقالته وتعيين عصام

شرف رئيسًا للوزراء، وكذلك هي المرة الأولى منذ فترة التي يرضى فيها العامة من الناس على النزول للمظاهرات مرة ثانية؛ فهم منذ فترة يعتبرون النزول لا فائدة منه حتى تستقر أحوال البلاد وتستمر عجلة الإنتاج، فهذه الجمعة بمثابة إحياء للثورة الطاهرة، ولتؤكد للكثيرين أن خروج الثوار في السابع والعشرين من مايو منادين بإحياء الثورة كان حقًا؛ لأنه منذ تلك اللحظة لم يتغير أي شيء.

اندلعت الشرارة كالعادة من السويس الباسلة فتجمعوا أمام مبنى المحافظة اعتراضًا على إخلاء سبيل المتورطين في قتل متظاهري السويس، وبعدها دخلوا في اعتصام مفتوح بميدان «الأربعين»، وفي ليلة الخميس اعتصم المتظاهرون في الإسكندرية في «القائد إبراهيم»، وفي القاهرة اعتصم المتظاهرون في رمز الثورة التاريخي ميدان «التحرير».

صبيحة يوم الجمعة ٨ يوليو امتلأت كل ميادين مصر بالمتظاهرين ليتجاوز عدد المتظاهرين في ميدان التحرير المليون متظاهر، لا وجود للافتات حزبية، كل الوجوه تتشابه في مصريتها لن تستطيع أن تميز العلماني من الليبرالي من السلفي من «الإخواني» من اليساري، الهتافات تعلو «مصر.. مصر»، «إيد واحدة»، «حق الشهداء مش هيضيع»، «مش هانمشي.. ما اتحاكمشي»، «يا مشير قول لعنان لسه الشعب في الميدان»، «عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية»، «جبنا وزير من التحرير وباقي الوزرا من النظام»، «مصر يا أم.. ولادك أهم»، «الشعب يريد إسقاط النظام»، «الشعب يريد القصاص»، «الداخلية.. بلطجية»، «الشعب يريد تطهير الداخلية»، «أنا ثورجي.. مش بلطجي».

المطالب كانت حول القصاص للشهداء، وسرعة المحاكمات للفاسدين وعلى رأسهم المخلوع وحبيب العادلي، وإلغاء المحاكمات العسكرية للمدنيين، تحديد اختصاصات المجلس العسكري ورفع يده عن الحكومة..

وإصلاح وزارة الداخلية نظرًا لاستمرار تجاوزاتها، والضغط على المجلس العسكري للتباطؤ الشديد والتأخر في إصدار القرارات، ومطالبة شرف

بالتزام الجدية مع وزرائه أو تقديم استقالته، والمطالبة برحيل العيسوي وزير الداخلية، وكذلك المطالبة برحيل وزير الإعلام الجديد ووزير الخارجية لانتمائهما للنظام القديم.

كالعادة صلى المتظاهرون الجمعة والعصر «جمع تقديم»، ومع الساعة الخامسة بدأ «الإخوان» الانسحاب من الميدان رافضين فكرة الاعتصام، واتخذ نفس الموقف الدكتور محمد سليم العوا وبثينة كامل، بينما امتنع الدكتور البرادعي عن الحضور من البداية مبررًا ذلك؛ حتى لا يقال بأنه يبحث عن دعاية انتخابية.

بعد رحيل «الإخوان» ورافضي فكرة الاعتصام حتى تتحقق المطالب، لم يخلُ الميدان كثيرًا، فالطوائف المشاركة كثيرة ولا يسيطر عليها فصيل واحد، لذا فلم تنكمش الصورة كثيرًا برحيل البعض، ليستمر المتظاهرون في اعتصامهم حتى تتحقق المطالب.

أفيون الشعوب

في العصور الوسطى في أوروبا، التي سميت في كتب التاريخ «عصور الظلام»، استغل رجال الدين جهل الناس، فوهموهم بأنهم يستطيعون أن يعطوهم صكوكًا بالحج، بدلاً من أن يذهبوا بأنفسهم قاطعين كل تلك المسافات الطويلة، ثم بعد ذلك نادوا بـ«صك الغفران»، وأنهم سيعطون الناس المغفرة من الله، ويضمنون لهم مكانًا في الجنة، ولثقة الناس في رجال الدين فهم يتبعونهم في كل شيء لا يعترضون عليهم خوفًا من غضب الله..

وكذلك حينما حاول كارل ماركس إيهام العامة بأنه لا دين، عربد الناس وتركوا العمل وكاد ماركس يخسر دولته التي بناها والتي حارب فيها الرأسمالية مناديًا بالاشتراكية، فعاد من جديد مستغلاً الدين كأفيون للشعوب..

لذا، لقد تعلم الجميع الدرس؛ إذا أردت أن تؤثر في الناس فلتتكلم بلسان الدين، وإن فعلت غير ذلك فأنت ملحد وعلماني وضد الدين وتكثر سواد

الكفر!!

القضية ليست في الدين، فالله عز وجل أنزل الأديان كلها لتنظم حياة الناس، ومنَّ علينا بخاتم الرسل وأفضلهم، ولكننا نحن من نسيء للدين، فانظر في أي مسجد إلى عدد المصلين، ثم انظر خارج المسجد وابحث في أمر كل واحد، فستجد فلانًا وقد أكل حق أخته في الميراث، وآخر قد سب فلانًا أو شتمه، وآخر يأكل أموال الناس بالباطل، وآخر لا يقول كلمتين على بعضهما صادقتين، وكأنهم قد نسوا أن الدين كما هو صلاة وصيام وزكاة وحج فهو كف للأذى وحسن معاملة، وحب وود بين الناس، وأن ننشغل بالعمل في جميع المجالات، حتى لا نسأل الدول الأخرى قُوتَنَا أو علمًا نجهله أو مجالاً لا نفقه فيه شيئًا، يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - «لن تكون كلمتنا من رأسنا حتى يكون قوتنا من فأسنا».

فالحمد لله على عظمة هذا الدين، ولكننا وحدنا من نحصره في المسجد، متناسين جميع الحقوق الأخرى وما علينا من واجبات تجاه الله ثم الوطن ثم أنفسنا.

إن الخطأ الأكبر أن نعود إلى الخلف فنسمح لأحد أن يستغل الدين في إغفال عقولنا عن العمل ما دمنا نُعمِل عقولنا في ما لا يتعارض مع الدين، فلقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنتم أعلم بشئون دنياكم».

فدعوا لعقولكم العنان لتبتكروا وتبعدوا بعيدًا عن سطوة رجال الدين، فإن للدين عزة لمن يملأ قلبه وعقله، من يعمل عن عمل وليس عن جهل، من لا يسمح لأحد أن يغيب عقله مستغلاً اسم الدين.

ما أود أن أقوله: إن العصمة انتهت بموت النبي - صلى الله عليه وسلم - وكل يُؤخذ منه ويرد، والحي دومًا يُخشى عليه من الفتنة، فلا نتعامل مع أحد على أنه لا يخطئ أبدًا بدعوى أنه رمز من رموز الدين، فالكل بلا شك يخطئ، والخطأ والجرم يزدادان كلما دسست أنفك فيما لا تعي أو تعلم.

بعد الثورة في مصر كل شيء يحدث باسم الدين، قاطع فلانًا من أجل الدين،

وقاطع قناة كذا من أجل الدين، ورشح فلانًا في مجلس الشعب من أجل الدين، وفلانًا رئيسًا من أجل الدين، واختر فلانًا أفضل من أجل الدين، هذا هو الفيصل، لا شيء يعلو فوق صوت الدين، حتى في تعديلات الدستور بنى رجال الدين لنا وهمًا سموه المادة الثانية من الدستور، فزعموا أنها ستُلغى؛ إن لم نصوت بـ«نعم»، وكأنهم نسوا أن الدستور سيبنى كاملاً إن آجلاً أو عاجلاً، ولكنهم هم من بنوا الوهم وهم من وصَّلوه للناس؛ لأنه لا أحد يستطيع أن يمس تلك المادة لأنها تجعل الجميع يشعرون بأمان في ظل الدين..

فكل شيء أصبح من أجل الدين.

وقبل الثورة كانت الأفواه مكممة عن أن تنطق وتقول هذا الكلام، وكأن رجال الدين ما عرفوا الحق إلا بعد الثورة! وأين كلمة الحق في وجه سلطان جائر قبل الثورة؟ أوليس هذا من الدين؟! وبأي منطق أقارن رجلاً ذا علم دنيوي بآخر ذي علم شرعي لمنصب دنيوي بمقياس الدين؟! فهل من المعقول أن أعين طبيبًا فقيهًا دينيًا؟ أو أعين شيخ الأزهر وزيرًا للاقتصاد وأقول لأنه الأعلم بالدين وأنا أحتاج إلى عالم بالاقتصاد؟!

يا أهل الدين رفقًا بنا، تعلموا وتفقهوا، حتى لا تعودوا بنا إلى سطوة الكنيسة في عصور أوروبا المظلمة.

التحرش الفكري

يعتقد الكثيرون بأن التحرش نوع واحد فقط، وهذا الاعتقاد عارٍ تمامًا من الصحة، فالتحرش ليس مرتبطًا بكلمة الجنس أو الضرب، ولكنه أيضًا مرتبط بالفكر، وهذا النوع هو أشد أنواع التحرش على الإطلاق؛ أن تحاول السيطرة على عقلي وأفكاري ومعتقداتي مستخدمًا كل الوسائل الممكنة لتسيطر بأفكارك على عقلي.

والذي يحدث الآن في مصر بعد الثورة هو أشد أنواع التحرش الفكري، أنت

معي إذًا سأحاول أن أفرض عليك وجهات نظري، وإن لم تقتنع في النهاية إذًا فأنت ضدي، وهذه هي لهجة الحديث سواء من المجلس العسكري أو الحكومة أو الأحزاب أو الثوار أو عامة الشعب، لا أحد يفكر بعقل الآخر، لا أحد يعطي الفرصة للآخر.

وأصعب تلك التحرشات التي تكون باسم الدين، فيحدثك التيار الإسلامي عن وهم في خياله ثم يسكنه ويسكّن من معه في هذا الوهم، فيحدثونك في أثناء التعديلات الدستورية أنك إن لم تصوت بـ«نعم» فسوف تلغى المادة الثانية وتلغى هوية مصر الإسلامية!! ولا أعلم ما الذي أقحم المادة الثانية في الأمر، ومن الذي ادعى أنها ستُلغى في الدستور الجديد، وكيف تلغى في بلد عدد سكانه ثمانية وثمانين مليون مواطن منهم ٥ ملايين مواطن مسيحي و٨٣ مليون مواطن مسلم، فمن يجرؤ في وسط هذا العدد أن ينادي بإلغائها؟! إنهم يفعلون مثلما يفعل مشايخ الصوفية بعامة الناس حينما يوهمونهم أنهم بتمايلهم في الحضرة مع بعض الإنشاد الديني هكذا يمدحون النبي وآل البيت، وهذا سبب للتقرب إلى الله، ولا أدري أيضًا ما الذي أقحم التمايل والإنشاد في حب النبي صلى الله عليه وسلم؟!

في الفترة الأخيرة يخرج علينا التيار الديني ببيان يرفض فيه الدعوة للوثيقة «الفوق دستورية» لأنها تتنافى مع الدين، لأن من طُلب منه وضعها يمثل التيار العلماني، وأي تعارض مع الدين في هذا؟! وهل كل أزمة تحدث سنقحم فيها اسم الدين ونغافل عقول البسطاء ونحشدهم ونقول لهم «انصر دينك»؟! وهل حققنا الإسلام في كل شيء في تشريعاته ومعاملاته والعلاقة بيننا كمسلمين وانتهى الأمر إلى تحريم كل ما هو متعلق بالعمل السياسي بعيدًا عن الدين؟!

أوليس الإسلام من علمنا أن فروض الكفاية يأثم المسلمون إذا تركوها جميعًا وأنه على المسلمين أن يخرج منهم العالم والطبيب والمهندس والسياسي والفقيه، وعليهم أن يكون منهم المتخصص في جميع المجالات بداية من

الزراعة وحتى الذرة والطاقة النووية؟ أوليس الإسلام هو من جاء بمبادئ تبني الدين والدولة معًا؟ فما معنى أن تتحرش بأفكاري لكونك رجل دين؟! وهل هناك مسلم عاقل يرفض تطبيق الدين؟! وهل كوننا نختلف في ماهية الدولة مدنية أو دينية يجعلك تتحرش بأفكاري وتضعها رهنًا لك ولأفكارك؟ فالدين أوسع من أفكارك أنت يا من تنادي باسمه وكأنك تأخذ من الآيات ما يناسب فكرك وتختار من الأحاديث ما يناسب هواك ثم تترك الباقي!!

إن الدين أعظم من أن يحتكره فصيل معين، فالذي يقوم الليل كله بالصلاة كالذي يقوم الليل بحثًا على مسألة علمية، فهذا يستقيم به أمر نفسه والآخر تستقيم به أمور الدنيا، لذا فالاثنان يكملان كل منهما الآخر، لذا فرجاءً تعلموا كل فروض الحياة وكل ما تستقيم به الدنيا والدين من تعاليم الدين، ولا تكملوا السير في خندق الابتداعات وجرم التحرش بفكر الآخر والتخوين والتكفير والمزايدات الخاسرة.

حينما نسير في دوائر مغلقة

أن تحاول استدعاء جميع قدراتك العقلية لفهم كل ما يحيط بك والوقوف على حقيقة الأمر، أن تحاول أن تستخدم لغة العقل والمنطق في أوج انفعالاتك وعواطفك المشتعلة، أن تشعر أن الشعب يعيش في واد والمتظاهرون في وادٍ آخر، أن تشعر أن المتظاهرين أنفسهم يعيشون في ائتلافات وحركات هي نفسها منقسمة على مطالبها، أن تجد القاتل يعيش في أفضل حال منعمًا بماله وأهل المقتول يدورون بحثًا في الشوارع للثأر، أن تجد المتهم يمارس عمله بكل حرية وفوق هذا يهدد من يتهمه بالقتل، أن يسحب منك البعض لقب «ثورجي» ليحوله إلى «بلطجي»، أن تبحث عن الحرية والديمقراطية فتكون أنت أول من يعاني الأمرين منها، ولا يسعك إلا أن توافق على ما تأتي به حتى ولو كان عكس ما تشتهي السفن، أن تتحدث بحرية فيخبرك البعض عن وجود خط أحمر ممنوع الاقتراب منه أو التصوير، أن تسقط

رئيسًا فتصبح صاحب «أجندات» وبعدها تسقط رئيس وزراء فتصير صاحب «أجندات» أخرى لأنك أسقطت هذا الرجل الطيب، وحينما تحاول إصلاح المجلس العسكري يحدثونك أيضًا عن «الأجندات» والتمويل الخارجي! «هي الناس دي ما بتتعلمش»، غبي من يخطئ الخطأ نفسه مرتين، فكيف بمن يخطئ الخطأ نفسه للمرة العاشرة؟! أن تكون معنا ثم تتركنا في ذروة الحرب لتحصد غنيمة الحرب ثم تفاجأ أن المفتاح ما زال في جيبي، حينما ينتظر شعب في البيت حتى تأتي الحرية لتدق بابه وحينما تأتي الحرية يقولون لك عليك بالتزام الديمقراطية!

أن تشارك في الثورة فأنت عميل و«بلطجي»، أن تجلس في بيتك فأنت من حزب «الكنبة»، أن تشتم الثوار فأنت من حزب «اللي اختشوا ماتوا»، ولكن أن تطالب بإبادة المعتصمين فأنت من حزب «ولاد ستين....»، أن تفرض الحكومة حدًّا أدنى للأجور وتنسى أن تفرض حدًّا أعلى للأجور لتوفير موارد الحد الأدنى، أن يحاكم المدنيون بمحاكم عسكرية ويحاكم العسكريون في محاكم مدنية بطيئة، حينما تشعر أنك تطالب بمطالب فيرد عليك الطرف الآخر بمطالب مختلفة تمامًا، أن تطالب بحقوقك من المجلس العسكري فينظر إليك في مؤتمر صحفي شذرًا و«يشخط فيك» اللواء الفنجري ويظهر لك شرف وهو متلعثم في كلماته! ساعتها تشعر أنك تدور في دائرة مفرغة لتبدأ ثم تعود إلى النقطة نفسها من جديد.

شكرًا لحسن تعاونكم معنا

تحضرني الآن تلك اللقطة الشهيرة لمسلسل «دموع في عيون وقحة»، هذا المسلسل الذي يحكي قصة البطل «جمعة الشوان»، وكيف أنه استطاع في آخر القصة إحضار أحدث جهاز إرسال في العالم، وحينها أرسلت المخابرات المصرية رسالة إلى المخابرات الإسرائيلية فيها «نشكركم على حسن تعاونكم معنا طوال الفترة السابقة».

نحن الآن على أعتاب نفس الرسالة، فبعد قليل - ولا أدري كم يكون القليل - سنقبض على الأوغاد ومثيري الفتنة، ونقول شكرًا للإسلاميين على «جمعة الشريعة» التي ستنزلون فيها لإلغاء الوثيقة الدستورية، وشكرًا لكم لأنكم نجحتم ببراعة في تغييب الشعب باسم الدين؛ بداية من الاستفتاء على الدستور وحتى الآن، شكرًا لأنكم أقحمتم أنفسكم في السياسة دون أن تتعلموها. شكرًا للثوار الذين انسحبوا واحدًا تلو الآخر واختلفوا حول المطالب مرارًا وتكرارًا حتى كرهنا الشعب وكره هذا اليوم الذي سمع فيه عن الثورة، وشكرًا للسياسيين الذين أسرعوا بالبحث عن مكاسبهم الشخصية من الثورة، والشكر موصول للشعب الذي أدى دور الجمهور على أكمل وجه، ونظموا أكبر حزب عرف في تاريخ مصر «حزب الكنبة»، ومبارك الذي استفحل بداخل كل واحد منكم..

وفي تلك اللحظات الحاسمة لا أستطيع أن أنسى أن أشكر الفلول، فلقد أثبتم بالفعل أن الكلب حيوان وفي، فأنتم وفيتم كما وعدتم رءوس الطغاة، وقدمتم كل ما في وسعكم لإبطال مفعول الثورة، أديتم دوركم ببراعة وحتمًا لن ينسى الجمهور التصفيق لكم بكل حرارة، وشكرًا للإعلام الملون الذي ما زال ينعت الثوار بالبلطجية، الذي ما زال يصور المظاهرات على أن أصحابها قلة مندسة، شكرًا لأنكم استبدلتم بسيدكم سيدًا آخر تمشون وراءه في كل خطوة يخطوها تمامًا مثلما كنتم تفعلون في العهد البائد.

والشكر الأكبر موصول للمجلس العسكري، شكرًا على رصيدكم الذي لا ينفد أبدًا حينما تقمعون المتظاهرين، وعلى محاكمة الثوار في محاكمات عسكرية

وترك القتلة الحقيقيين لمحاكمات مدنية مملة، شكرًا على الإسهام في تشويه الصورة والتباطؤ دومًا في اتخاذ القرارات، وعلى إطلاق يد دكتور عصام شرف لكي يقوم بدور رئيس الوزراء بعد أربعة أشهر من تعيينه!

نشكر الجميع على حسن تعاونهم معنا طوال الفترة السابقة، فلقد صدقنا أنفسنا وظننا أننا في وطن جديد وأننا نعيش في مصر التي حلمنا بها. أثبتم أنكم استحققتم العبودية التي نعمتم بها لسنوات عن جدارة.

استعدوا في بعد قليل تصلكم رسالتنا التاريخية «شكرًا لحسن تعاونكم معنا طوال الفترة السابقة» ولكن هذه الرسالة إن وصلتكم اعلموا أن من يعشقون هذا الوطن قد أبيدوا عن بكرة أبيهم، لأنهم لم ولن يوافقوا على تحسين العبودية، فهم يحلمون بالحرية ولا شيء غير الحرية.

ثورة عاهرة

المتلونون والمتلوثون دومًا ما يبحثون عن شيء يُشبههم، فالأشخاص غالبًا ما يجذبون من يشبههم، ستجد أن الشريف وحافظ الأمانة دائمًا ما يصاحب من هو مثله، واللص دائمًا ما يصاحب من هو مثله، وهذه طبيعة الأشياء كلها ليس فقط الأشخاص، كل يبحث عمن يُشبهه.

والآن أصبح من يحملون هم القضية ومعنى الوطن والانتماء والحرية هم القلة المندسة وهم من يحاولون إفساد الثورة!! وهم من يحاولون زعزعة الأمن والأمان وهم من يحاولون الوصول بالبلاد إلى الهاوية، من خرجوا يوم الخامس والعشرين من يناير حاملين أرواحهم على أيديهم أصبحوا الآن مخربين ومأجورين، من صرخوا بأعلى الصوت لا وألف لا للظلم والفساد، من مُسح بهم ميادين مصر كلها طلبًا للحرية والعدالة الاجتماعية أصبحوا الآن يبيعون البلاد للعملاء الأجانب.

لمصلحة من تلك الوقيعة بين الثوار والشعب؟! لمصلحة من تشويه صورة الثوار؟! من سيكسب من كل تلك التخبطات؟! فكر ولو قليلاً ولا تسِر وراء الإعلام الكاذب واعقلها حتى تدرك إلى أين نتجه؟!

حينما وجد الملوثون أن الثورة طاهرة ولا وجود للمتلونين والمرتزقة، فضلاً عن الفلول وبقايا النظام - إن كنا حقًّا قد أسقطنا النظام - فعمل كل هؤلاء على تشويه الثورة وخروجها من قدسيتها وطهارتها، لينجحوا في جعل الشعب يلعن تلك الثورة؛ لأن الثورة أخرت السلع التموينية، ولأن الثورة أسهمت في تشريد البعض من عملهم، ولأن الثورة أخرت البعض عن الحصول على عمل، أي مصيبة وكارثة اقتصادية أو اجتماعية، وأي شجار بين شخصين، كل شيء يُضخم ويلصق بالثورة حتى تتحول الثورة من طاهرة إلى عاهرة، يتمسح فيها أي فاشل وانتهازي، أي بلطجي ومرتزق، تتمسح فيها كل الجرائم والمشاكل والأزمات وكأننا كنا نعيش ثلاثين عامًا في رخاء مستمر وأتت الثورة وقضت على الزرع والماء وتركتنا في صحراء قاحلة.

نجح هؤلاء في أن يوهموا البسطاء أن الثورة أفسدت أكثر مما أصلحت،

نجحوا في أن يظهروا المطالب الفئوية الحقيرة ويخفوا مبادئ الثورة، نجحوا في الوقيعة بين الثوار وانسحاب فصيل من الفصائل كل فترة وبعدها يتبادلون التخوين والعمالة ليصبح أصدقاء الغد هم أعداء اليوم، هكذا استطاعوا أن يحولوا الثورة الطاهرة إلى عاهرة؛ لأن عقولهم الخبيثة صورت لهم ذلك حتى يستعيدوا مكانتهم التي فقدوها في العصر البائد.

ولكن إن ظنوا أنهم قادرون على إخماد الثورة فهم واهمون، أن يتخيلوا أن الثورة قد تصبح ثورة عاهرة يلمسها ويتلمسها كل صعلوك فهم حالمون، فلكي يصلوا إلى ثورة عاهرة فعليهم أن يسيروا على جثثنا واحدًا بعد الآخر حتى يصلوا إلى ما يريدون، كلنا على استعداد للموت من أجل حريتنا.

لقد حلمنا وسنموت من أجل حريتنا مرارًا وتكرارًا، وأنتم لستم على استعداد أن تنجرح أظافركم في سبيل حلمكم، لذا فنحن صامدون وإن مررتم على جثثنا واحدًا بعد الآخر، حتى آخر نفس سندافع عن ثورتنا الطاهرة ولن تحولوا ثورتنا إلى ثورة عاهرة مثلكم وعلى شاكلتكم.

«جمعة لم الشمل»

في البداية كانت الدعوة لتلك الجمعة من التيارات الإسلامية لأنها أرادت أن تعلم الأحزاب والقوى السياسية درسًا في أن القوى الصامتة ستتحدث هذه المرة، وأنها لن تظل صامتة كثيرًا، فكان الاتفاق على يوم ٢٩ يوليو ليكون «جمعة الشريعة» «الشرعية»، وبعد اجتماع جميع التيارات اتفقوا على أن يكون اسم الجمعة هو «جمعة لم الشمل.. والإرادة الشعبية».

تم التنسيق بين السلفيين و«الإخوان» والجماعة الإسلامية وشباب الثورة وباقي القوى السياسية على مطالب عاجلة أهمها سرعة محاسبة الفاسدين وتطهير القضاء والداخلية والقصاص العادل للشهداء. وأضافت القوى الدينية مطلبًا؛ وهو رفض المبادئ «الفوق دستورية».

بدأت عصر الخميس.. حينما بدأ السلفيون في تشييد أكبر منصة عرفها ميدان

التحرير حتى كتابة هذه السطور، وحافظ «الإخوان» على منصتهم المستقلة، وكذلك جميع التيارات الحزبية والحركات السياسية، وبعد منتصف الليل كانت الكلمة الأولى للشيخ حازم شومان الذي تحدث عن أن مصر دولة دينية وأنه لا وجود لأعداء الله بيننا، ثم بدأت بعدها المنصة في عرض خطب عن العلمانية وخطرها على الإسلام والحريات المطلقة.

بعدها بدأت القوى الدينية في الدخول إلى الميدان تباعًا كلها تحمل شعارًا واحدًا ومطلبًا واحدًا «إسلامية.. إسلامية»، وتحذر من المساس بهوية مصر الدينية، (ولا أدري من الذي ادعى أنه سيمس تلك الهوية!).

بدأت مراحل من الجدال لإقناع هؤلاء بترك تلك المطالب والتركيز على مطالب الثورة. والحقيقة أن الإخوان المسلمين لعبوا دورًا رائعًا في التهدئة التي حدثت فجر الجمعة، ولكن ما إن بدأت الشمس في الشروق وبدأت الأعداد في الزيادة حتى ذاب الجميع في هذا العدد ولم تعد هناك قوى تستطيع أن تسيطر على الهتافات الإسلامية التي سيطرت على الميدان، فهذا – للأمانة – أكبر حشد حدث منذ احتفالات تنحي الرئيس المخلوع.

المشكلة أن السلفيين والجماعة الإسلامية خرقوا كل الاتفاقيات المبرمة وخرجوا عن النص، واتضح أنهم لم يأتوا سوى للمطالبة بتحكيم الشريعة وتأكيد هوية مصر الإسلامية، فانسحبت اثنتان وثلاثون حركة اعتراضًا، ولكن هيهات، فعدد من انسحبوا نقطة في بحر، فلم يأتِ الانسحاب بأي أثر، واتضح أن التيار الإسلامي كانت يستعرض قوته على الحشد.

لقد كانت «جمعة لم الشمل» بمثابة ثورة أخرى، ثورة خرجت عن المطالب القديمة لتبدأ في مطالب جديدة تحولت مع الوقت إلى مطالب فئوية خاصة بالتيار الإسلامي مثل الإفراج عن الدكتور عمر عبد الرحمن والشيخ وجدي غنيم، وإرسال هتافات لليهود (خيبر خيبر يا يهود.. جيش محمد سوف يعود).

وحينما ردد الجميع النشيد الوطني، رد عليهم السلفيون والجماعة الإسلامية

«الله أكبر.. الله أكبر»؛ فاستحقت «جمعة لم الشمل» عن جدارة لقب «جمعة تفريق الشمل»؛ لأنها فرقت بين القوى السياسية ووترت الأجواء عكس ما كنا ننتظر أن تسهم تلك الجمعة في توحيد الصف وتوحيد المطالب. شئنا أم أبينا هذه هي الحرية التي قاتلنا من أجلها، حتى وإن لم يشارك السلفيون والجماعة الإسلامية في الثورة لفتواهم برحمة الخروج على الحاكم، لكنهم بوصفهم مصريين من حقهم أن يعبروا عن حريتهم، هذا هو العسل المر للديمقراطية أن يحارب أناس من أجل حريتهم وآخرون ينعمون بثمارها. في النهاية حتى وإن استطاعت التيارات السياسية حشد مليون، واستطاعت التيارات الدينية حشد ثلاثة ملايين، فأؤكد أنه من الحماقة أن نعتقد أن الأغلبية الصامتة قد تحدثت بعد، فكل هذه تيارات الشعب، فهو ٨٨ مليونًا ما زالوا يتحملون كل تلك الضغوط، فأخشى أن تنفجر الغالبية الصامتة حقًّا، لذا رجاءً رفقًا بمصر أيها الإسلاميون، رفقًا بمصر أيتها النخبة، رفقًا بمصر أيها المجلس العسكري، اتقوا الله جميعًا في مصر وفي شعب مصر.

في ذكرى سبتمبر

«إنني لم أكن يومًا طالب سلطة أو جاه، ويعلم الشعب الظروف العصيبة التي تحملت فيها المسئولية وما قدمته لوطني حربًا وسلمًا، كما أنني رجل من أبناء قواتنا المسلحة، وليس من طبعي خيانة الأمانة أو التخلي عن الواجب والمسئولية.

إن مسئوليتي الأولى الآن هي استعادة الأمن واستقرار الوطن لتحقيق الانتقال السلمي للسلطة في أجواء تحمي مصر والمصريين، وتتيح تسلم المسئولية لمن يختاره الشعب في الانتخابات الرئاسية المقبلة، وأقول بكل الصدق، وبصرف النظر عن الظرف الراهن، إني لم أكن أنتوي الترشح لفترة رئاسية جديدة، وقد قضيت ما يكفي من العمر في خدمة مصر وشعبها، لكنني الآن حريص كل الحرص على أن أختتم عملي من أجل الوطن بما يضمن تسليم أمانته ورايته ومصر عزيزة وآمنة ومستقرة، وبما يحفظ الشرعية ويحترم الدستور.

أقول بعبارات واضحة إنني سأعمل خلال الأشهر المتبقية من ولايتي الحالية كي يتم اتخاذ التدابير والإجراءات المحققة للانتقال السلمي للسلطة بموجب ما يخوّله لي الدستور من صلاحيات..».

من منا لا يتذكر هذا الخطاب الشهير الذي أسماه الثوار «خطاب الفتنة»، والذي قسم الشعب إلى قسمين؛ قسم مستمر في الثورة، والآخر يعلن تعاطفه والقناعة بأن يتم مبارك مدته وأنه بالفعل عازم على الإصلاح، ويشاء الله أن يتم فرحتنا وثورتنا فتقع «حادثة الجمل» في اليوم الثاني، معلنة أن الخطاب ما هو إلا السم في العسل، وأن من عاش لثلاثين عامًا يخدعنا ليس من الممكن أن يصدقنا الآن.

لقد فشلت الخدعة واستقر الثوار على المتابعة والمضي قدمًا نحو خلع مبارك ومحاكمته لأجل الشهداء ليخرج علينا مبارك بخطاب أوضح يبين لنا فيه أنه لم يكن عازمًا على التوريث أو الترشح:

«الإخوة المواطنون.. لقد أعلنت بعبارات لا تحتمل الجدل أو التأويل عدم ترشحي للانتخابات الرئاسية المقبلة، مكتفيًا بما قدمته من عطاء للوطن

لأكثر من ٦٠ عامًا في سنوات الحرب والسلام.. أعلنت تمسكي بذلك، وأعلنت تمسكًا مماثلاً وبذات القدر بالمضي في النهوض بمسئوليتي في حماية الدستور ومصالح الشعب حتى يتم تسليم السلطة والمسئولية لمن يختاره الناخبون في شهر سبتمبر المقبل، في انتخابات حرة ونزيهة توفر لها ضمانات الحرية والنزاهة.. ذلك هو القسم الذي أقسمته أمام الله والوطن، وسوف أحافظ عليه حتى نبلغ بمصر وشعبها بر الأمان».

كان هذا جزءًا من آخر خطابات المخلوع في أثناء الثورة يؤكد أنه لم يكن ينتوي الترشح، مستخدمًا ألفاظًا في منتهى الدقة والوضوح محاولاً تهدئة الثوار.

والآن، لعلك قد استوعبت مغزى العنوان، إننا الآن في شهر سبتمبر، شهر الانتخابات - الذي كان مقررًا - فتخيل معي مصر من دون ثورة، والانتخابات كالعادة تعقد في موعدها الطبيعي، وهل يا ترى كان سيفوز مبارك أم جمال مبارك؟ وهل كنا سننتهي من فرعون إلى ابن فرعون أم أن المشير واللواء عمر سليمان كانا بالفعل يخططان لانقلاب في حالة التوريث؟ في كل الأحوال قامت الثورة لتنهي أحلام كل هؤلاء الجبابرة، ولتسحب منهم «عزبة أبوهم» التي مصوا خيراتها لسنوات وسنوات وتركوا الشعب في سنواته العجاف، دون أن يحترموا حرية أو آدمية أحد.

الحمد لله أننا الآن في سبتمبر من دون مبارك وفي سبتمبر من دون جمال مبارك وفي سبتمبر من دون انتخابات مزيفة كالعادة تأتي بديكتاتور فوق إرادة الشعب. فما أحلاه سبتمبر الحرية.

لا يسعنا في تلك الأيام إلا أن نقف وقفة احترام وتعظيم لشهداء ثورتنا المجيدة، فنحن - شئنا أم أبينا - رفضنا الثورة في بدايتها، تعاطفنا، سببنا الثوار، أو ساندناهم، أيًّا كان انتماؤك، شاركت في الثورة أم لم تشارك، استوعبت الدرس أو لم تستوعب، أيًّا كانت أفكارك أو أيديولوجيتك..

كلنا مدينون بالفضل لله عز وجل على أن نصرنا على الطغاة، ثم مدينون

بالشكر لهؤلاء الشهداء وكل من ساند الثورة، فلولا هؤلاء لكنا في سبتمبر على استعداد لولاية جديدة أو في استقبال فرعون جديد.

نعم سبتمبر هذه المرة يحمل مذاقًا خاصًا وأملاً في أن تشهد مصر في أيامها المقبلة أكبر نقلة حقوقية وحضارية في تاريخها. سبتمبر هذ المرحلة يحمل هواءً نقيًّا لا يشوبه الفساد والتزوير، سبتمبر هذه المرة جاء بطعم الحرية.

مطلوب زعيم

لا أنكر أنني بعد الثورة أغمضت عيني للحظات كثيرة لأتخيل رئيس مصر القادم كيف سيكون، هل يا ترى سيشبه لويس إيناسيو لولا دا سيلفا، رئيس البرازيل السابق، الذي بكى الشعب لأجله بعد انقضاء فترته الثانية، وبعد أن حول البرازيل إلى نموذج اقتصادي باهر؟ أم يا ترى سيشبه رجب طيب أردوغان، الأسطورة التركية المسلمة، الذي بهر الشرق الأوسط بالكامل وربما الغرب أيضًا؟ أم يا ترى سيشبه نيلسون منديلا؟ أم ستكون ضربة قاضية ويأتي زعيم على شاكلة من خلوا؟

استيقظت على صدمتين؛ أولاهما الصراع الحاد بين جميع الأحزاب والطوائف السياسية الذي وصل إلى حد التخوين، والصدمة الثانية الأكبر أني لم أجد أحدًا يشبه هذا الزعيم الذي رسمته في خيالي في وسط المرشحين للرئاسة.. فأخذتني الصدمة من أحلامي إلى عالم الواقع.

لقد نجح النظام القديم في خنق كل الكوادر في مهدها، وقبل أن تسيء فهم عبارتي تلك أود أن نتفق على أن مصر ليست عقيمة، بل على العكس تمامًا من المؤكد أنه من داخل الثمانية وثمانين مليون مواطن شخص وأكثر يصلح أن يكون زعيمًا، ولكن ربما يحتاج إلى تسليط الضوء أو الظهور للعيان أو أن يشعر به الناس مع الوقت، ولكني أعني بمن هم على الساحة الآن، لا أرى فيهم هذا الزعيم الذي رسمته في خيالي بعد الثورة، هذا الزعيم الذي سينهض بمصر كما حلمنا، أضف إلى هذا أني مشفق على رئيس مصر القادم لأن مصر تعج بأمواج من الفوضى وتحتاج إلى رجل بكل معنى الكلمة لكي تستتب له الأمور في وسط هذا الكم من المطالب والمطامع والمصالح والتوجهات والأحزاب والحركات، ولكي يستطيع إرضاء الشعب في أربع سنوات فهو إما أن يكون رجلاً وينجح وإما يتقدم باستقالته وإما يُخلع، فتسير تلك العادة؛ أي رئيس لا يرشو طرفًا من الأطراف يستمرون في التظاهر حتى يرحل، فتستفحل الفوضى.

مصر تبحث عن أرقى موظف حكومي في تاريخها، مصر تعلن في صفحتها

الأولى على جريدة «الحرية» «مطلوب زعيم»، مطلوب زعيم في عدل عمر يحبه الناس ويستشعرون عدله وفهمه والتغيير على يديه، يستشعرون إنسانيته وديكتاتوريته أحيانًا، يشعر بالمواطن البسيط، لا يتحدث إلى الناس من برج عالٍ.

مطلوب زعيم من طين هذا الوطن يدرك ويعي معنى وطن، وانتماء، ودين، وحرية، وكرامة، ويحمي حقوق الضعيف قبل القوي، يضرب بيد من حديد الفاسدين والمتنطعين والمرتزقة، يشعر معه الناس بالأمن والأمان.

ما زلت أنتظر قدومك، فهل ستكون مثلما حلمت؟ أم أني سأفيق على صدمة أخرى، لكني على أمل أن القادم سيكون على الأقل أقل فسادًا لأننا لن نسكت مرة أخرى؟

رجاءً لا تتأخر أكثر من ذلك، نحن نحتاجك ومصر تحتاجك، اللهم أصلحنا لنكون أهلاً لهذا الزعيم وارزقنا إياه عاجلاً غير آجل.

المجد للشهداء

الأربعاء الموافق الثالث من أغسطس لعام ٢٠١١، هذا التاريخ الذي سيخلد في ذاكرة كل المصريين، فهذا اليوم سجل لحظة تاريخية لم يحلم بها أي مصري على مر تاريخ المصريين، حتى لحظة تنحي الرئيس المخلوع مبارك، فاليوم شهد أول محاكمة علانية لآخر الفراعنة المصريين، ليعلن للعالم أجمع أن المصريين حقًّا صنعوا المعجزة، وأنهم استطاعوا أن يخلعوا الرئيس ويحاكموه، وليشهد العالم الرئيس المخلوع ونجليه ومساعديه وهم في قفص الاتهام، ليعلم الجميع أن الله على كل شيء قدير، وأن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

اليوم سيفرح الشهداء، وسيشعر كل من شارك في الثورة بالفخر، اليوم سيجتمع كل المصريين، إسلاميين وليبراليين ويساريين، ستنتهي كل تلك التسميات ليفرح الجميع بنصر الثورة، ستتوهج كل الميادين فرحًا بشهدائها وبأبنائها وبأنها شهدت يومًا تلك الثورة الطاهرة. وسينحني العالم احترامًا وتقديرًا للمصريين؛ لأنهم أصحاب أول ثورة تقدم رئيسها المخلوع لمحاكمة مدنية عادلة؛ لتزداد عظمة الثورة المصرية شموخًا وعزًّا فوق شموخها وعزتها.

سنبدأ مرحلة جديدة من البناء يعلم فيها من سيتولى مصر ويكون رئيسًا لها أن الشعب قد استيقظ ولا مجال للفساد مرة أخرى، وسيعلم الرئيس أنه موظف حكومي يسعى إلى خدمة كل المصريين وليس ليكون فرعونًا عليهم أو حاكمًا بأمر الله، سيتعلم كل مسئول الدرس جيدًا، وأن القصاص لا محالة آت، وسيتعلم الشعب الدرس الأكبر بأن يضربوا على يد الظلم والفساد مهما صغر ومهما كان مرتكبه، أسوة بقول الله عز وجل: «وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ».

طالت تلك المحاكمات أو قصرت، وبغض النظر عما ستسفر عنه، المهم أننا أسقطنا الرئيس وأتينا به إلى محاكمة مدنية عاجلة، ستحدث مراوغات قضائية للمحامين وفي التحقيقات، ولكن المهم أن الشكل العام محاكمة

قضائية نزيهة كاملة الأركان، فالمحكمات ستكون شرسة وقوية، لأن كلا الطرفين يحاول إثبات الأدلة، ولكن ستبقى الحقيقة أن الثوار والشعب أتوا بالرئيس إلى المحكمة، وأنهم دفعوا نظير ذلك الكثير والكثير من دمائهم وصحتهم ووقتهم وأموالهم وجهدهم، حتى استنزفوا كل الطاقات، لكنهم وضعوا شعار «مصر فوق الجميع» أمام أعينهم، فلم ينظروا إلى خسارتهم الشخصية فلحظة النصر التي نعيشها الآن أنستهم كل تعبهم ومعاناتهم.

المجد كل المجد للشهداء والثوار، الله أكبر ولله الحمد، الحمد لله الذي أسقط الطاغية.

تحيا مصر.

جيل.. «دوت كوم»

لقد عانى هذا الجيل كثيرًا من كلمات التقريع والتوبيخ الذي كثيرًا ما أسمعنا إياه الكبار، فهم كثيرًا ما أسمعونا كلمات من نوعية أننا جيل لا نقدر قيمة المسئولية ولا الحياة، ونجهل عن الحياة أشياء بحكم الخبرة الحياتية البسيطة التي نملكها.. وكثيرًا ما نعتنا الكبار بأننا شباب «سيس» وتافه ولا يشغله شيء سوى «الجيمز» والإنترنت، واستهتروا بنا وبقدراتنا وأحلامنا، حتى كانت اللحظة الحاسمة، فهذا الشباب الـ«سيس» قد أسقط الرئيس.

لم يستوعب أحد تلك المعجزة الإلهية بعد، فما زال الكثير من الكبار ممن يدعون أن موروثهم من الخبرات الحياتية أكبر بكثير منا، يصرون على أن يعلنوا الوصاية على هذا الجيل، قائلين لهم: لقد صنعتم الثورة ونجحتم «برافو عليكم»، دعونا إذًا ندير البلاد، فنحن أكثر خبرة ودراية منكم بهذه الأشياء الكبيرة، فالمسئولية مسئولية وطن وليست لعبة كمبيوتر ستحركونها عبر عصا الألعاب، لقد انتهت مهمتكم فدعونا إذًا نتولى الأمور.

ومع الوقت ولأن الكبار لم يقدروا بعد حجم المعجزة، فلا يزالون يرضون بالفتات وبأقل القليل ويكتفون بتحسين العبودية مرددين: «خلى عجلة الإنتاج تمشي» وكأن من سرقوا البلاد لأكثر من خمسين عامًا هم من كانوا يحمون عجلة الإنتاج، لا يدرون أن كل تلك المطالب - المشروعة - من أجل تسريع عجلة الإنتاج، بل ربما استبدلنا بتلك العجلة قطار «إكسبريس» ينقل مصر إلى مصاف الدول الكبرى.

أنا لا أنكر أن فارق السن والخبرات الحياتية تؤثر كثيرًا في التفكير والعمل، ولكن الكبار بلا شك ضحية سنوات من الإعلام الكاذب والتقدم المزيف والروتين الذي كثيرًا ما عانينا منه، فمبارك بداخلهم أكثر بكثير من الشباب، وحاجتهم للتخلص من هذه اللعنة أقوى؛ لأن الشباب نشأوا على كره الظلم والقمع، أما الكبار فقد تعايشوا معهما، وهذا فارق شاسع بين الجيلين.

هذا جيل «دوت كوم» الذي نشأ على سرعة الإنترنت، وأن العالم وبحق قرية صغيرة، اعتاد على أن كل شيء تحت أمر ضغطة واحدة على لوحة مفاتيح الكمبيوتر الخاص به، أو ضغطة بـ«الماوس»، وهذا هو الفارق الجوهري، أننا نريد أن نصل إلى مرحلة اتفاق بين سرعة الشباب وتمهل الكبار، والمهم أن نصل إلى تلك المرحلة قبل أن يلعن الشعب ثورتنا ويتحفنا الكثير من أفراد الشعب بعبارتهم الشهيرة: «خدنا إيه من الثورة؟».

لقد صنع هذا الجيل معجزة سيظل التاريخ يتحدث عنها لقرون طويلة، وسنظل ننقل تلك الأحداث من جيل إلى جيل لنعلم أبناءنا أن يقولوا للظلم لا وألف لا، وأن يضربوا على رأس ويد الظلم، سنعلمهم ما تعلمناه بأنفسنا من تلك التجربة، وسنتخلى عن مبدأ الآباء الذي كثيرًا ما حدثونا أن نجعله نبراسًا لنا في حياتنا، (يا ابني امشي جنب الحيط، وخليك في حالك، إحنا هنغير الكون؟!)، سنزرع فيهم أن حب الوطن ليس بالشعارات وإنما بالعمل، وسنظل نحدثهم عن أن هذا الجيل الـ«سيس» قد أسقط الرئيس.

جيل الثورة

لقد تربى هذا الجيل على مساحة من الحرية ومن التعبير عن الذات لم تتوفر لأي جيل من قبل منذ قيام ثورة يوليو، وربما أسهم في خلق تلك المساحة من الحرية التطور التكنولوجي لوسائل الاتصال، سواء عبر الإنترنت حيث مواقع التواصل الشهيرة: الـ«فيس بوك» و«تويتر» أو مواقع التدوين مثل «بلوجر» و«وورد بريس» و«مكتوب» والكثير من المواقع الإلكترونية الأخرى، وكذلك التطور في شبكات المحمول.. فأتيح لهذا الجيل الكثير من المقومات لكي يصبح هو الجيل المنتظَر لهذا الوطن، ليس بالضرورة معنى الثورة التغيير الأمثل للشعب، فالشعب مهمته مهمة كبيرة بدأت بعد الثورة لا قبلها، فالشعب مطالب بعملية غسل للمخ من جميع رواسب النظام القديم الذي سيطر على عقولنا، واستعملها كآلات لكي يدور في رحى لا تنتهي بين البحث عن تعليم ووظيفة ومأكل وملبس..

بمعنى آخر جعلوا الشعب يدور في رحى خط الفقر، فالناس تأكل وتعمل فقط بالكاد لكي تعيش.

لقد صنع هذا الجيل بحق معجزة لم يستطع الكبار أن يصنعوها لثلاثين عامًا كاملة، فعقولهم المختلفة تلك أسهمت في صنع المستحيل نفسه، فلو سألت أي عاقل عن أقصى أحلامه قبل يوم ٢٥ يناير لأجابك: «عدالة اجتماعية» وربما طمح إلى إعادة انتخابات مجلس الشعب وتعهد المخلوع بعدم الترشح من جديد، ولكن هذا الجيل حقق أكثر مما كنا نحلم بكثير، حقق المستحيل ذاته، وأبدع ورسم على لوحة السماء أفضل لوحة في تاريخ مصر المعاصر، متحديًا التاريخ وناظرًا إليه بسخرية.

وهذا الجيل لن ينعم كثيرًا بثمرة ثورته، فهو صنع ثورة لينعم بها أبناؤه ولتنعم بها مصر، فالثوار الحقيقيون يدركون أن ثورتهم في تغيير الفكرة والثقافة ما زالت مستمرة، وأن تلك الثورة هم نواتها وهم أصلها، فهم في حاجة إلى أن يخرجوا أبناء يسيرون على دربهم؛ حيث يقولون الحق لكل ظالم وجائر ولا يخشون أحدًا إلا الله، متناسين تربيتهم القديمة، التي غالبًا ما كان

يلخصها آباؤنا في جملتين: «خلينا في حالنا»، «امشي جنب الحيط»، فأمامنا مهمة تربية جيل قادم هو الأمل الحقيقي لمصر، هو من سيجعلها في يوم من الأيام قوة عظمى مثل أمريكا؛ لأن هذا الجيل سيربي أبناءه على أن يمشوا «في الحيط نفسه»، لا «جنب الحيط»، هذا الجيل سيخرج أبناء يتعلمون ما يحبون ولا يتعلمون من أجل الشهادة وكليات القمة فقط، فهم تعلموا الدرس بأن يطلقوا العنان لمواهبهم وقدراتهم، هذا الجيل سيربي أبناءه على الثورة وكيف يحافظون دومًا على بلدهم مصر، وأن العدو الأول هو إسرائيل، وأننا، مسلمين ومسيحيين، يد واحدة ولا يوجد أي عداء طائفي، هذا الجيل سيربي أبناءه على أن الثورة وكلمة الحق ليست خروجًا على الحاكم، وأن ليس كل ما يقال يُسمع له، ولنتعلم كيف نأخذ فتوانا.

المسئولية وبحق كبيرة، فمن يظن أن المهمة انتهت وحان وقت قطف الثمار فهو واهم، فهو وقت العمل ولا شيء سوى العمل، من أجل أن تتحقق الأحلام التي حلمنا بها بعد سقوط النظام، فلقد تعلمنا الدرس جيدًا هذه المرة، وتعلمنا أن نطلق لأحلامنا العنان، حتى المستحيلة منها، فالتجربة أثبتت أنه لا شيء مستحيل، فقط لنحلم وننادي بأعلى الصوت.. تحيا مصر.

الخاتمة

شكرًا لكل من أسهم في تلك اللوحة الرائعة التي ستظل محفورة في قلوب كل المصرين..
أشكركم يا شباب مصر وأشكر رب العالمين أنني كنت واحدة من هذا الجيل..
أشكر كل أب وأم وطفل مصري نزل للميادين ليطالب بحقوقه، وسأشكر كل عمل إيجابي قمنا به أو سنقوم. ولكن بعد شكري أرفع طلبي إليكم بأن نحكِّم عقولنا دائمًا ونرفع أصواتنا لنطالب بحقوقنا وبتحقيق الإنسانية والبحث عن الذات والسعي في كل الدروب لتحقيق مصلحة مصر والاستفادة من أخطاء السابقين.
وفي النهائية يجب ألا نتنازل عن حلمنا أبدًا فعلينا جميعًا أن نحلم.

غادة أشرف

الخاتمة

وبعد، إن قلت لأي مواطن مصري قبل يوم ٢٥ يناير: «نم وتخيل واحلم لمصر وانظر كيف ستحلم لها»، لتخيل أي شيء وحلم بأي شيء دون أن يذهب بخياله إلى أن النظام البائد يسقط بتلك الطريقة، فالفضل لله أولاً وأخيرًا.

لقد صنع هذا الجيل ثورة وبقي عليه أن يتمها لكي يسلم الراية للأجيال القادمة لكي تعود مصر إلى سابق عهدها؛ دولة لها قيمتها بين الدول ومكانتها في الشرق الأوسط.

إنه تعاقب الأجيال، فنحن سنمر وسيأتي بعدنا جيل آخر، المهم أن يقدر الجميع عظمة الحدث ويحافظوا عليه بالغالي والنفيس..

حفظ الله مصر، وحفظ شعبها.

محمد غالية